
٢٠
سلسلة الدروس الثقافية
قصص القرآن
الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org
شبكة المعارف الإسلامية
مركز نون
للتأليف والترجمة

قصص القـرآن الكريم

جمعية المعارف الإسلامية الثقافية

بيروت. لبنان. المعمورة. الشارع العام

هاتف: ٠١/٤٧١٠٧٠

ص.ب. ٢٤/٥٣. ٢٥/٣٢٧



الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

الكتاب: قصص القرآن الكريم

إعداد: مركز نون للتأليف و الترجمة

نشر: جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة

الطبعة الأولى تشرين الثاني 2007م - 1428هـ

قصص

القرآن الكريم



الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

إن القرآن الكريم هو المدرسة الإلهية المفتوحة على مر الأزمان لتخرج المؤمنين والأتقياء والصالحين والأولياء، ينهل من نوره من أراد، يخاطب الناس جميعاً على اختلاف قدراتهم العلمية وقابلياتهم الذهنية.

والقصص هو أحد الأساليب القرآنية لإيصال النور والهداية إلى العقول والقلوب، تتميز بقوتها وتأثيرها وإمكانية الاستفادة منها وإدراكها وايصال أهدافها إلى جميع أفراد الإنسان.

وهذا الكتاب الماثل بين يديك يتعرض لمجموعة من القصص القرآنية لبيان أهدافها وشرح مفرداتها والاضاءة على مفاهيمها، ليضاف إلى سلسلة الدروس الثقافية.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل القرآن الكريم، الذين يهتدون بهداه، ويوفقنا لأخذ قصصه عبرة تعيننا على دنيانا لتقومها وتصلح آخرتنا، فنكون من الفائزين، وله الحمد أولاً وآخراً.



الدرس الأول

الأسلوب القصصي في القرآن الكريم

١ـ أحسن القصص

القرآن معجزة الإسلام الخالدة، تحدّى العالم في الإتيان بمثله، وعجزت العرب بكل أدبائها وشعرائها وما كانت تفخر به من القدرة على البيان وصناعة الكلام عن تحدي هذا القرآن والإتيان بآية واحدة مثل القرآن.

وفي القرآن أساليب متعددة من البيان، وأكثر هذه الأساليب تأثيراً في النفوس هو الأسلوب القصصي وقد قال تعالى: **﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾**[1].

قال أهل اللغة: القص تتبع الأثر، يقال: قصصت أثره، والقصص الأثر، قال تعالى: **﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً﴾**[2]، **﴿وَقَالَتْ لأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾**[3]. قال: والقصص الأخبار المتتبعة قال تعالى: **﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾**[4]، **﴿لَقَدْ**

(١) يوسف: ٣.

(٢) الكهف: ٦٤.

(٣) القصص: ١١.

(٤) آل عمران ٦٢.

كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ﴾[1]، **﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾**[2].

فما هي فائدة القصة ولماذا استخدم القرآن أسلوب القصص؟

ذكر العلماء فوائد عديدة من اعتماد القرآن على أسلوب القصة بل والإكثار منه:

١ـ إن الإنسان إنما بدأ يتدرج في مراتب الرقي والحضارة من خلال اعتماده على تجارب الماضين من آبائه وأجداده، فتلافى ما وقعوا فيه من أخطاء، وعمل على تطوير ما توصلوا إليه من تجارب. والتاريخ مرآة تنعكس عليها جميع ما للمجتمعات الإنسانية من محاسن ومساوئ ورقي وانحطاط والعوامل لكل منها. وعلى هذا فإن مطالعة تاريخ الماضين تجعل عمر الإنسان طويلا بقدر أعمارهم حقا، لأنها تضع مجموعة تجاربهم خلال أعمارهم تحت تصرفه واختياره. ولهذا يقول الإمام علي عليه السلام في حديثه التاريخي خلال وصاياه لولده الحسن المجتبى في هذا الصدد: «أي بني إني وإن لم أكن عمرت عمر من كان قبلي، فقد نظرت في أعمالهم، وفكرت في أخبارهم، وسرت في آثارهم، حتى عدت كأحدهم، بل كأني بما انتهى إلي من أمورهم قد عمرت من أولهم إلى آخرهم»[3]. وهذا هو تفسير المراد من العبرة في قوله تعالى: **﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ﴾**[4] والتاريخ الذي نتحدث عنه طبعا هو التاريخ الخالي من الخرافات والأكاذيب والتملقات والتحريفات والمسوخات.

٢ـ إن القرآن نزل للتأثير على النفوس، وما من شيء أشد أثرا على النفوس من أسلوب القصة، ولذا اعتمد القرآن على إيراد الموعظة بنحو القصة. وذلك لأن القصة تعطي دليلا حسيا ملموسا لمن يسمعها، فعندما يتحدث القرآن عن فرعون، وعن علوه وعتوه في الأرض، ونحن نعرف ما حل بفرعون حسا ونرى ما بناه

---

(١) يوسف: ١١١.

(٢) القصص: ٢٤.

(٣) وصية الإمام لولده الحسن عليه السلام، نهج البلاغة.

(٤) يوسف: ١١١.

من الأهرامات أمام أعيننا، فإن ذلك سوف يكون أشد وقعا في النفس.

٣. القصة والتاريخ مفهومان عند كل أحد، على خلاف الاستدلالات العقلية، فإن الناس في مستوى الإدراك ليسوا سواسية... وعلى هذا فإن الكتاب الشامل الذي يريد أن يستفيد منه البدوي والأمي والمتوحش... إلى الفيلسوف والمفكر والمتمدن، يجب أن يكون معتمدا على التاريخ والقصص والأمثلة. ومجموعة هذه الجهات تبين أن القرآن خطا أحسن الخطوات في بيان التواريخ والقصص في سبيل التعليم والتربية، ولا سيما إذا التفتنا إلى هذه النقطة، وهي أن القرآن لا يذكر الوقائع التاريخية في أي مجال بشكل عار من الفائدة، بل يذكر معطياتها بشكل ينتفع بها تربويا.

الأهداف القرآنية من القصص

لقد تمكن الخطاب القرآني في كتاب الله ومن خلال اعتماد أسلوب القصة من تسجيل أهداف مهمة في خدمة رسالة الإسلام والنبوة ومن هذه الأهداف:

أولا: إثبات نبوة نبي الإسلام

فالنبي ﷺ عاش في مكة لم يخرج منها. إلا في سفر مكة. ولم يفارق قومه قط، فتاريخ حياته بيّن واضح لديهم ولكنك تجده يورد من قصص الأمم السالفة والأنبياء ما لم يكن لأحد اطلاع عليه ولم يكن لأحد إنكاره ولا مجال إلا بالتصديق به وقد قال تعالى مخاطبا نبيه مذكرا قومه بأن هذا القرآن لم يكن من عند محمد نفسه بل هو من عند الله: **﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ * وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُوناً فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِياً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾** (١).

---

(١) القصص:٤٤-٤٦.

ثانياً: بيان وحدة الأديان الإلهية

عندما يورد القرآن الكريم قصص الأنبياء السابقين، فأنه يريد بيان أن هذه الرسالة السماوية أي الإسلام هو امتداد لكافة الشرائع السابقة، فما كان النبي ﷺ بدعا من الرسل وما كانت رسالته مخالفة لما سبقها. فهذا القرآن يذكر قصة موسى –مثلاً– وما فعله بنو إسرائيل ليبين أن شريعة موسى كانت شريعة إلهية رفضها القوم وحرّفوها.

ثالثا: تثبيت القلوب

لقد واجه النبي ﷺ وأصحابه الكثير من المصاعب في تاريخ الدعوة الإسلامية، فأراد الله عز وجل أن يسلي نبيه ويزيح عنه ذلك الهم الكبير الذي شغل نفسه به ألا وهو دعوة قومه إلى الحق وهو يواجه تحديهم له ورفضهم الإيمان به وقد قال تعالى: **﴿وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾**(١).





خلاصة الدرس

١. إن من الأساليب البيانية التي اعتمدها القرآن الكريم هو أسلوب القصة.

٢. فائدة القصة تظهر من جهات عديدة فهي تشكل عبرة من خلال الاستفادة من تجارب السابقين، وهي أشد تأثيرا في النفوس، وأسهل في إيصال الفكرة للناس كافة.

٣. الأهداف المنشودة قرآنيا من القصص هي: إثبات نبوة نبي الإسلام، وبيان وحدة الأديان الإلهية، وتثبيت قلوب المؤمنين.

---

(١) هود: ١٢٠




أسئلة حول الدرس

١ – ما الرابط بين التاريخ وتقدم المجتمعات ؟
٢ – لماذا تؤثر القصص في النفوس أكثر من غيرها من الوسائل؟
٣ – عدّد هدفين من أهداف القصص في القرآن الكريم.



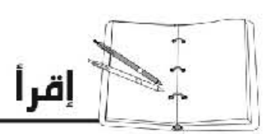

للمطالعة

الفرق بين القصص القرآني وغيره:

يختلف القصص القرآني عن غيره من القصص في ناحية أساسية هي ناحية الهدف والغرض الذي جاء من أجله، ذلك أن القرآن الكريم لم يتناول القصة لأنها عمل (فني) مستقل في موضوعه وطريقة التعبير فيه، كما أنه لم يأت بالقصة من أجل التحدث عن أخبار الماضين وتسجيل حياتهم وشؤونها - كما يفعل المؤرخون - وإنما كان عرض القصة في القرآن الكريم مساهمة في الأساليب العديدة التي سلكها لتحقيق أهدافه وأغراضه الدينية التي جاء الكتاب الكريم من أجلها، بل يمكن أن نقول: إن القصة هي من أهم هذه الأساليب. فالقرآن الكريم - كما عرفنا في وقت سابق عند الحديث عن الهدف من نزول القرآن - رسالة دينية قبل كل شيء تهدف بصورة أساسية إلى عملية التغيير الاجتماعي بجوانبها المختلفة، هذه العملية التي وجدنا بعض مظاهرها وآثارها في طريقة نزول القرآن التدريجي

وفي طريقة عرض المفاهيم المختلفة، وفي ربط نزول القرآن بالأحداث والوقائع والأسئلة، وفي أسلوب القرآن في القصر والإيجاز، أو المزج بين الصور والمشاهد المتعددة، الأمر الذي أدى إلى نشوء كثير من الدراسات القرآنية، عرفنا منها الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والمكي والمدني وغيرها. لذا فلا بد لنا - حين نريد أن ندرس القصة القرآنية - أن نضع أمامنا هذا الهدف القرآني العام لنتعرف من خلاله على الأسلوب الذي اتبعه القرآن الكريم في عرضه القصة القرآنية مساهمة منه في تحقيق هذا الهدف.

علوم القرآن، محمد باقر الحكيم، ص ٣٥٤.



إقرأ



تفسير القرآن الكريم لأبي حمزة الثمالي المتوفى سنة ١٤٨ هـ

أعاد جمعه وتأليفه عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين، راجعه وقدم له سماحة العلامة الشيخ محمد هادي معرفة.

أبو حمزة الثمالي هو صاحب الإمام السجاد عليه السلام والراوي عنه ذلك الدعاء الجليل، واسمه ثابت بن دينار، المكنى بأبي حمزة الثمالي الكوفي.

ومن خصائص تفسيره:

١ - عنايته الكبيرة بأسباب نزول الآيات، لما في ذكرها ما يعين على فهم معنى الآية والمراد منها.

٢ - اهتمامه بما ورد في فضائل أهل البيت عليهم السلام وما نزل في علي عليه السلام خاصة.

٣ – تفسيره القرآن بالقرآن.

٤ – تفسيره القرآن بالسنة واجتهاده في ذلك.

٥ – اتباعه المنهج اللغوي في تفسيره لبعض الآيات القرآنية.

٦ – حرصه على الرجوع إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام في تفسير ما أشكل عليه من آيات والتزامه بابراز آرائهم في المسائل والأحكام الفقهية.

الدرس الثاني

التفاخر والكفر بالنعمة

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا * كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا * وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا * وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا * قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا * لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا * فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا * أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا * وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا * هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾.

القصة

افتخر بعض الكافرين بأموالهم وأنصارهم على فقراء المسلمين، فضرب الله سبحانه ذلك المثل يبيّن فيه أنه لا اعتبار بالغنى المؤقت وأنه سوف يذهب سدى، أما الذي يجب المفاخرة به فهو تسليم الإنسان لربه وإطاعته لمولاه. وحقيقة ذلك التمثيل أن رجلين أخوين مات أبوهما وترك مالا وافراً فأخذ أحدهما حقه منه وهو المؤمن منهما فتقرب إلى الله بالإحسان والصدقة، وأخذ الآخر حقه فتملك به ضياعا بين الجنتين فافتخر الأخ الغني على الفقير، وقال: ﴿**أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا**﴾، وما هذا إلا لأنه كان يملك جنتين من أعناب ونخل محيط بهما، وبين الجنتين زرع وافر، وقد تعلقت مشيئته بأن تأتي الجنتان أكلها ولم تنقص شيئا وقد تخللها نهر غزير الماء وراح صاحب الجنتين المثمرتين يفتخر على صاحبه بكثرة المال والخدمة. وكان كلما يدخل جنته يقول: ما أظن أن تفنى هذه الجنة وهذه الثمار – أي أنّها تبقى أبداً – وأخذ يكذّب بالساعة، ويقول: ما أحسب القيامة آتية، ولو افترض صحة ما يقوله الموحدون من وجود القيامة، فلئن بعثت يومذاك، لآتاني ربي خيرا من هذه الجنة، بشهادة إعطائي الجنة في هذه الدنيا دونكم، وهذا دليل على كرامتي عليه. هذا ما كان يتفوه به وهو يمشي في جنته مختالا، وعند ذاك يواجهه أخوه بالحكمة والموعظة الحسنة. ويقول: كيف كفرت بالله سبحانه مع أنك كنت ترابا فصرت نطفة، ثم رجلا سويا، فمن نقلك من حال إلى حال وجعلك سويا معتدل الخلقة ؟ ورغم أنه ليس في عبارته إنكار للصانع صراحة، بل إنكار للمعاد، إلا أن إنكار المعاد يلازم إنكار الرب. فإن افتخرت أنت بالمال، فأنا أفتخر بأني عبد من عباد الله لا أشرك به أحدا. ثم ذكره بسوء العاقبة، وأنك لماذا لم تقل حين دخولك البستان ما شاء الله، فإن الجنتين نعمة من نعم الله سبحانه، فلو بذلت جهدا في عمارتها فإنما هو بقدرة الله تبارك وتعالى. ثم أشار إلى نفسه، وقال: أنا وإن كنت أقل منك مالاً وولداً، ولكن أرجو أن يجزيني ربي في الآخرة خيراً من جنتك، كما أترقب أن يرسل عذاباً من السماء على

جنتك فتصبح أرضا صلبة لا ينبت فيها شيء، أو يجعل ماءها غائرا ذاهبا في باطن الأرض على وجه لا تستطيع أن تستحصله. قالها أخوه وهو يندد به ويحذره من مغبة تماديه في كفره وغيه ويتكهن له بمستقبل مظلم. فعندما جاء العذاب وأحاط بثمره، ففي ذلك الوقت استيقظ الأخ الكافر من رقدته، فأخذ يقلب كفيه تأسفا وتحسرا على ما أنفق من الأموال في عمارة جنتيه، وأخذ يندم على شركه.

الدروس المستفادة من هذه القصة:

لقد أورد القرآن الكريم هذه القصة لبيان العبرة منها لهذا الإنسان الذي يعيش في هذه الحياة الدنيا فتأخذه بمفاتنها إلى حيث لا يكون مصيره إلا الخسران والضياع. وذكر بعض المفسرين أن الذي يتضمنه المثل قصة مقدرة مفروضة فليس من الواجب أن يتحقق مضمون المثل خارجا، وذكر آخرون أنه قصة واقعة، ويرى السيد الطباطبائي أن التدبر في سياق القصة بما فيها من كونهما جنتين اثنتين وانحصار أشجارهما في الكرم والنخل ووقوع الزرع بينهما وغير ذلك يؤيد كونها قصة واقعة وفي هذه القصة دروس عديدة:

ظلم النفس من أعظم أنواع الظلم

وصف الله عز وجل صاحب الجنة بأنه ظالم لنفسه، وهذا من أعظم أنواع الظلم والمراد من ظلم النفس هنا حملها على الكفر بارتكاب المعصية والإخلال بالواجب، أو إنكار ما يجب الاعتقاد به. وإنما ورد التعبير عن العاصي بأنه ظالم لنفسه لأنه يوجب لها العذاب الدائم في نار جهنم.

وقد ورد في الآيات الكريمة التي حكت لنا هذه القصة بعض مظاهر ظلم النفس من قبل صاحب الجنتين، هذه المظاهر التي تدرج ذلك الرجل في الوقوع فيها واحدة بعد أخرى. والتي قد تحصل مع كل صاحب دنيا متعلق بها:

أ. أكفرت بالذي خلقك من تراب

إن الإنسان عندما يرى انه حر التصرف في ماله لا أحد يمنعه من التصرف به

يظن انه ملكه الخاص به وانه لا مالك فوقه لهذا المال، فينسى الله عز وجل وهذا ما يؤدي به أولا إلى الشرك بالله عز وجل وذلك لأنه في المرحلة الأولى يظن نفسه انه شريك مستقل بالتصرف في هذا المال، ثم تزداد وسوسة الشيطان له فيجد أن شريكه الآخر ليس له التصرف في هذا المال فيؤدي الأمر به إلى الكفر وإنكار وجود مثل ذلك الشريك لأنه يتصرف بما يشاء.

والطريق الذي يمكن للإنسان أن يتخلص به من هذه الحالة هو أن يرجع إلى نفسه لينظر ويتدبر أصل خلقته وأنه خلق من تراب ثم من نطفة فهو لم يكن شيئاً والله هو الذي سوّاه رجلاً.

ب. أكثر مالاً وأعز نفراً

يبدأ الإنسان بعملية مقارنة بين ما عنده وما يملكه هو وما عند غيره فيجد أن ما عنده عظيم ويحتقر ما عند غيره وينعكس ذلك في فعله وقوله، وهذا ما أدى به إلى أن يقول لصاحبه أنا أكثر مالاً وأعز نفراً.

وقد ورد عن رسول الله ﷺ: «إن لإبليس كحلاً ولعوقاً وسعوطاً، فكحله النعاس، ولعوقه الكذب، وسعوطه الفخر»[1].

ويتحدث الإمام الخميني عن أسباب الكبر فيقول: «للكبر أسباب عديدة ترجع كلها إلى توهم الإنسان الكمال في نفسه، مما يبعث على العجب الممزوج بحب الذات، فيحجب كمال الآخرين ويراهم أدنى منه ويترفع عليهم قلبيا أو ظاهريا»[2]

وطريق علاج حالة التكبر هذه أن يتدبر الإنسان بأن هذه النعمة قد تنتقل في يوم من الأيام إلى من يتكبر عليه فإن النعم لا تدوم.

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام: «عجباً للمتكبر الفخور الذي كان بالأمس نطفة، ثمّ هو غداً جيفة»[3].

---

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار: ج٧٠، ص ٢٣٤.

(٢) الأربعون حديثا: الحديث الرابع، ص٨٨.

(٣) الكافي، الشيخ الكليني، باب الفخر والكبر، ج ٢، ص ٣٢٨.

ج. ما أظن أن تبيد هذه أبداً

فـي الإنسان نزعة وميل فطري نحو التعلق بالأمور التي تبقى ولا تفنى، ولمّا كان هـذا الشخص متعلقاً بجنّته هذه أراد أن يبرر لنفسـه هذه القناعة بأن قام بإنكار كونها ممكنة الفناء والزوال. وهكذا الإنسان عندما ينعم عليه بالنعم المادية يغفل عـن كون هذه النعم مصيرها إلى الفناء والـزوال فيتعلق بها ويظن أنها باقية على الدوام.

ويتحـدث العلامة الطباطبائي عن ذلك فيقول: «هذا حال الإنسان، فان نفسه لا تتعلـق بالشيء الفاني من جهة أنه متغيـر يسرع إليه الزوال وإنما يتعلق القلب عليه بما يشاهد فيه من سمة البقاء كيفما كان فينجذب إليه ولا يلوي عنه إلى شيء من تقاديـر فنائـه، فتراه إذا أقبلت عليـه الدنيا اطمأن إليها وأخذ فـي التمتع بزينتها والانقطاع إليها واعتورته أهواؤه وطالت آماله كأنه لا يرى لنفسه فناء، ولا لما بيده مـن النعمة زوالا ولا لمـا ساعدته عليه من الأسباب انقطاعا، وتراه إذا أدبرت عنه الدنيـا أخذه اليأس والقنوط فأنساه كل رجاء للفرج وسجل عليه انه سيدوم ويدوم عليه الشقاء وسوء الحال»[1].

وطريـق علاج هذه الحالة أن يفكر الإنسان بالأسباب التي قد تؤدي إلى زوال ما عنده مهما كان عظيماً، فصاحب الجنة غفل عن أنّ إعصاراً واحداً قد يدمّر جنّته هذه فيجعلها ركاماً.

د. ما أظن الساعة قائمة

الخطوة الثالثة التي يخطوها هذا الإنسان في طريق الضلال، وهي نتيجة حتمية للخطـوات السابقة، هو الذهاب إلـى إنكار الآخرة، لان الإيمـان بالآخرة لا يجتمع مـع الإيمان بـأن هذه الدنيا خالدة باقيـة، فينكر الآخرة. وقـد ورد عن رسول الله ﷺ: «مـن أصبح وأمسى والآخرة أكبر همه جعل الله الغنى في قلبه وجمع له أمره

---

(١) الطباطبائي. محمد حسين. الميزان في تفسير القرآن ج١٢، ص٣١١.

ولم يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه، ومن أصبح وأمسى والدنيا أكبر همّه جعل الله الفقر بين عينيه وشتت عليه أمره ولم ينل من الدنيا إلا ما قسم له»[١].

الإنسان بين الخوف والرجاء

على الإنسان أن يعيش بين الخوف والرجاء. فمهما فعل من الصالحات فان ذلك لا يحتم له الجنة. فكيف بمن لم يملك من هذه الدنيا سوى المال والأمور الفانية الزائلة.

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «ينبغي للمؤمن أن يخاف الله خوفا كأنه يشرف على النار، ويرجوه رجاء كأنه من أهل الجنة»[٢].

وعنه عليه السلام: « كان أبي عليه السلام يقول: إنه ليس من عبد مؤمن إلا في قلبه نوران: نور خيفة ونور رجاء، لو وزن هذا لم يزد على هذا، ولو وزن هذا لم يزد على هذا»[٣].

وعن الإمام علي عليه السلام: «إن استطعتم أن يشتد خوفكم من الله وأن يحسن ظنكم به فاجمعوا بينهما، فإن العبد إنما يكون حسن ظنه بربه على قدر خوفه من ربه، وإن أحسن الناس ظنا بالله أشدهم خوفا لله»[٤].

ويقول الإمام الخميني في كتاب الأربعون حديثا: «إن الإنسان عندما يدرك منتهى قصوره في النهوض بالعبودية، ويرى صعوبة وضيق طريق الآخرة، يتولد فيه الخوف بأعلى درجة، وعندما يجد ذنوبه ويفكر في أناس كانت عاقبة أمرهم الموت من دون إيمان وعمل صالح... يشتد فيه الخوف... والرجاء المحبوب يدفع الإنسان نحو العمل واكتساب الآخرة».

---

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧٠، ص١٠٤.

(٢) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧، ص٣١١.

(٣) الكليني، الكافي، ج٢، ص٦٧.

(٤) نهج البلاغة، من عهد له إلى محمد بن أبي بكر لما ولاه مصر.




خلاصة الدرس

١. إن صاحب النعم المادية الدنيوية عليه الحذر من الوقوع في كفران هذه النعم، وان للشيطان مداخل كثيرة يدخل من خلالها إلى نفوس أصحاب النعم من الكفر بالله عز وجل، إلى التفاخر والكبر، فالاعتقاد بخلود ما في هذه الدنيا وإنكار الآخرة.

٢. إن لكل مدخل من مداخل الشيطان هذه طرقاً يعالج الإنسان بها نفسه ويمنعها من الوقوع في الهلاك

فعلاج الكفر أن يتذكر الخالق، وعلاج الكبر أن يتذكر زوال النعمة، وعلاج الاعتقاد بخلود النعم الدنيوية أن يرى كيف أنها قد تزول سريعا، وعلاج إنكار الآخرة هو عدم التعلق بهذه الدنيا.

٣. المؤمن يعيش بين الخوف والرجاء خوف العذاب والعقاب ورجاء الثواب والنعمة.




أسئلة حول الدرس

١ – عدّد مظاهر ظلم النفس التي يتدرج فيها الإنسان.

٢ – لماذا يصل الإنسان إلى مرحلة إنكار الآخرة؟

٣ – هل يعيش المؤمن حالة الخوف أم الرجاء؟ أذكر رواية تدل على ذلك.



للمطالعة

عـن رسول الله ﷺ - يوم فتـح مكة -: إن الله تبارك وتعالـى قد أذهب عنكم بالإسلام نخوة الجاهلية، والتفاخر بآبائها وعشائرها، أيها الناس! إنكم من آدم، وآدم مـن طين، ألا وإن خيركـم عند الله وأكرمكم عليه اليوم أتقاكم وأطوعكم له، ألا وإن العربيـة ليسـت بأب والد، ولكنهـا لسان ناطق، فمن طعـن بينكم وعلم أنه يبلغه رضوان الله حسبه.

وعـن الإمام علي عليه السلام - وقد افتخر عنده رجلان -: أتفتخران بأجساد بالية، وأرواح في النار؟! إن يكن لك عقل فإن لك خلقا، وإن يكن لك تقوى فإن لك كرما، وإلا فالحمار خير منك ولست بخير من أحد.





للحفظ

حففناهما: أحطناهما.

نفراً: أنصاراً وأعواناً.

تبيد: تفنى.

قائمة: كائنة.

حسباناً: السهام التي ترمى بضربة واحدة.

زلقاً: أرضاً ملساء مستوية لا نبات فيها.

غوراً: ما ذهب في الأرض.

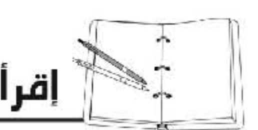
وأحيط بثمره: كناية عن الهلاك.

يقلّب كفيه: كناية عن الندم.

خاوية: خالية.

عروشها: العرش هو السقف.

عقباً: عاقبة.



إقرأ



التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام

تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي، قم المقدسة.

يعتبر التفسير من الكتب المنسوبة إلى تراث أهل البيت عليهم السلام ، ومن مزايا هذا التفسير الروائي أنه لم يتعرض لتفسير القرآن الكريم من أوله إلى آخره كما هو المعروف من طرق التفسير ، إلا أنه وردت فيه الروايات التي تعنى بتفسير آيات الكتاب، والتي رويت عن الإمام العسكري عليه السلام ، ولهذا تجد الكتاب ينتقل من مسألة إلى مسألة مختلفة ومن موضوع إلى آخر بدون أن يكون هناك تسلسل في تفسير السور أو الآيات..

كتاب يستحق القراءة يقع في مجلد واحد عدد صفحاته ٧٠٣.

الدرس الثالث

الإنفاق في سبيل الله

﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلَا يَسْتَثْنُونَ * فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ * فَتَنَادَوا مُصْبِحِينَ * أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ * فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ * أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ * وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ * فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ * قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ * عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ * كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (١)

القصة

الآية الكريمة تتحدث عن جماعة من الأغنياء كان أبوهم صاحب ثروة وكان ممن ينفق على الفقراء، ولما توفي أبوهم، وكانوا من أصحاب النفوس المريضة، اجتمعوا وتآمروا وفي نفوسهم الطمع على أن يمنعوا الفقراء مما لديهم، وعزموا

(١) القلم: ١٧-٣٣.

على ذلك دون قول إن شاء الله، واستفاقوا ضمن ما خططوا له في الصباح الباكر وذهبـوا إلى جنتهم، ولكنهـم فوجئوا بأن الجنة أصبحـت كالأرض المحروقة، فلا شجـر ولا ثمر، وهنـا إنتبهوا إلى ما كانـوا عليه من الظلم والطغيـان، وأعلنوا عن ندمهم وتوبتهم.

الدروس المستفادة من هذه القصة:

الاستئثار بالنعم من البلاء

الإنسـان مفطور على حب المال وحب هذه الدنيـا وما يتعلق بها، وحب المال هذا والسعي في سبيل تحصيله لا بأس به إذا كان على حدّ الاعتدال مع إخراج حقه. كما يحكى عن والد أصحاب هذه الجنة الذي كان يعطي الفقراء من هذه الجنة. مع الحذر من الاستغراق في المال إلى الحد الذي يخرج به الإنسان إلى الطغيان والبخل.

وقـد جاء في الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام إن من الضروري أن يجعل صاحب الرزق نصيباً للمحتاجين الحاضرين مما يقطف من ثمار البساتين وحصاد الـزرع. وهـذا ما يعرف بعنـوان (حق الحصاد) وهـو مقتبس من الآيـة الشريفة: ﴿**وآتـوا حقـه يوم حصاده**﴾، وهـذا الحق غير حق الزكاة، ومـا يعطى للمحتاجين الحاضرين منه أثناء قطف الثمار أو حصاد الزرع، غير محدود بحد معين.

ولكـن حبّ المـال هذا قد يخرج عـن حدّ الاعتـدال إلى حدّ الإفـراط، فيخرج الإنسان عنه إلى الظلم وذلك بظلم أصحاب الحق حقهم.

ولذا كان الغنى من الابتلاءات الإلهية التي إن صبر عليها الإنسان أمكنه النجاة، وصبـره على الغنـى إنما هو بأداء الحقوق المالية الواجبـة عليه وقد قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿**وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ**﴾ (١)

وقـد ورد في رواية عن أبي جعفر عليه السلام «إن رجلاً جاء إلى أبي علي بن الحسين عليه السلام فقـال له: أخبرني عن قـول الله عز وجل: ﴿**وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ**

---

(١) المعارج: ٢٤-٢٥.

﴿لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [1] مـا هـذا الحـق المعلـوم؟ فقـال له علي بـن الحسين عليه السلام: «الحـق المعلـوم الشيء يخرجـه الرجل من مالـه ليس من الـزكاة ولا من الصدقة المفروضتين، قال: فإذا لم يكن من الزكاة ولا من الصدقة فما هو؟ فقال: هو الشيء يخرجه الرجل من ماله إن شاء أكثر وإن شاء أقل على قدر ما يملك، فقال له الرجل: فما يصنع به؟ قال: يصل به رحماً ويقري به ضيفاً ويحمل به كلاً أو يصل به أخاً له في الله أو لنائبة تنوبه، فقال الرجل: الله يعلم حيث يجعل رسالاته» [2].

أداء حق المال

الإنسان محاسب على كل ما يدخل في يده من مال، فهو سيسأل يوم القيامة عما وصل إليه من المال كيف وصله، وأين وضعه، وهل أدى ما تعلق به من حق. وقد ورد عـن رسول الله صلى الله عليه وآله: «يجاء بصاحـب الدنيا يوم القيامة الذي أطـاع الله فيها، هو بيـن يدي ماله، وماله خلفه، فكلما تكفأ به الصراط قال له: امض فقد أديت الحق الـذي عليك، قال: ويجـاء بالآخر الذي لم يطع الله فيه، ومالـه بين كتفيه، فيعثره مالـه ويقول: ويلك، هـلا عملت بطاعة الله في مالك، فلا يزال كذلك يدعو بالويل والثبور» [3].

وأعظـم البلاء هو أن يجمـع الإنسان المال فلا يتنعم به فـي هذه الدنيا ولا في الآخـرة فيرثـه غيره وينتفع به فيكـون ضرره عليه ونفعه لغيره. وقـد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قيل له عليه السلام: «فمن أعظم النـاس حسرة؟ قال: من رأى ماله فـي ميزان غيـره، فأدخله الله به النـار، وأدخل وارثه به الجنـة، قيل: فكيف يكون هـذا؟ قال: كما حدثني بعض إخواننا، عن رجل دخل إليه وهـو يسوق، قال له: يا فـلان، ما تقول فـي مائة ألف في هـذا الصندوق؟ قال: ما أديـت منها زكاة قط، ولا وصلـت منهـا رحماً قط، قال: قلـت: فعلى ما جمعتها؟ قـال: لحقوق السلطان،

(1) المعارج: ٢٤-٢٥.

(2) الكافي، الشيخ الكليني، ج٣، ص ٥٠٠، الحديث١١.

(3) النراقي ـ محمد مهدي ـ جامع السعادات ج٢ ص ٤٨.

ومكاثـرة العشيـرة، ولخوف الفقر على العيال، ولروعة الزمـان، قال: ثم لم يخرج مـن عنـده حتى فاضت نفسه، ثـم قال علي عليه السلام: الحمد لله الـذي أخرجه منها ملومـاً ملياً، بباطل جمعها، ومن حق منعها فأوعاهـا، وشدها فأوكاها، فقطع فيها المفاوز والقفار ولجج البحار، أيها الواقف لا تخدع كما خدع صويحبك بالأمس، إن من أشد الناس حسرة يوم القيامة من رأى ماله في ميزان غيره، أدخل الله هذا به الجنة، وأدخل هذا به النار»[1].

وقد ورد التحذير في الآخرة من الامتناع عن الإنفاق في سبيل الله وانه سيتبدل حسرة على هذا الإنسان فقد ورد عنهم عليهم السلام: «ما من عبد يبخل بنفقة ينفقها في ما يرضي الله إلا ابتلي بأن ينفق أضعافها في ما أسخط الله»[2].

آداب الإنفاق

إن للإنفـاق آدابـاً لا بد وأن يتـأدّب بها الإنسان، ومن هـذه الآداب أن ينفق من أفضـل مالـه الذي يرغـب، لا أن ينفق من المـال الذي يزهد فيه، وقـد قال تعالى **﴿أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾**[3].
وقـال تعالى: **﴿لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾**[4].

كفران النعم موجب لزوالها

مـن أهم التعاليم التي تحكي عنها هذه الآيات أن كفران النعمة والمنع من أداء الحقـوق المتوجبة على الإنسـان موجب لزوال هذه النعم، كمـا حدث مع أصحاب الجنـة فان عزمهم على حرمان الفقراء والمساكين أدى إلى زوال ما كان أنعم الله به عليهم.

---

(١) تفسير الإمام العسكري، ص٠٤.

(٢) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٢، ص١٧٢.

(٣) البقرة:٢٦٧.

(٤) آل عمران:٦٢.

عـن أبي عبد الله الصـادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال:«شكر النعمة اجتنـاب المحارم وتمام الشكر قول الرجل الحمد لله رب العالمين»[1].

وقـال تعالى أيضاً واصفـاً جزاء كفران النعم: **﴿وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾**[2].



١. للنعمـة حـق وحـق النعمة هي الشكـر وشكر النعمـة بأداء الحقـوق وإشراك المحرومين فيها وعدم حرمان أصحاب الحق من حقهم.

٢. المسؤوليـة تفرض علـى الإنسان أداء حـق المال بدفع ما يتوجـب عليه من الحقوق.

٣. إن كفـران النعمة وامتناع صاحـب النعمة عن أداء ما عليه موجب لزوال هذه النعمة




١ – لماذا يُعتبر الغِنى من الابتلاءات الإلهية؟

٢ – مَن أعظم الناس حسرة ؟ ولماذا؟

٣ – ما هو السبب في زوال النعم؟

---

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٨، ص ٤٠

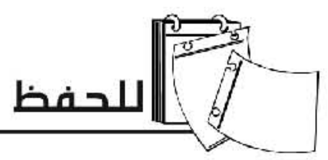
(٢) النحل:١١٢



للمطالعة

عـن رسـول الله ﷺ: «يؤتى برجل يوم القيامة، وقد جمع مـالاً من حرام وأنفقه فـي حرام. فيقال: إذهبوا به إلى النار. ويؤتى برجل قد جمع مالاً من حلال وأنفقه فـي حرام، فيقال: إذهبوا به إلى النار. ويؤتى برجل قد جمع مالاً من حرام وأنفقه فـي حلال، فيقال اذهبوا به إلى النـار. ويؤتى برجل قد جمع مالا من حلال وأنفقه فـي حلال، فيقـال له: قف لعلك قصرت في طلب هذا بشيء مما فرضت عليك من صـلاة لم تصلها لوقتها، وفرطت في شيء من ركوعها وسجودها ووضوئها فيقول: لا يا رب! كسبت من حلال وأنفقت في حلال، ولم أضيع شيئاً مما فرضت، فيقال: لعلك إختلت في هذا المال في شيء من مركب أو ثوب باهيت به، فيقول: لا يا رب! لـم أختل ولم أباه في شيء، فيقال: لعلك منعت حق أحد أمرتك أن تعطيه من ذوي القربـى واليتامـى والمساكين وابن السبيـل، فيقول: لا يا رب! لـم أضيع حق أحد أمرتنـي أن أعطيه. فيجئ أولئـك فيخاصمونه، فيقولون: يـا رب. أعطيته وأغنيته وجعلته بين أظهرنا وأمرته أن يعطينا، فإن كان قد أعطاهم وما ضيع مع ذلك شيئاً مـن الفرائض ولم يختل في شيء، فيقال: قف الآن هـات شكر نعمة أنعمتها عليك من أكلة أو شربة أو لقمة أو لذة.





للحفظ

بلوناهم: امتحناهم، اختبرناهم.

ليصرمنها: يقطفون ثمرها.

مصبحين: عند الصباح الباكر.

ولا يستثنون: قول إن شاء الله.

فطاف عليها طائف من ربك: أصابها عذاب من ربك فأحرقها.

كالصريم: البستان المصروم ثمره أي المقطوع.

اغدوا: اقبلوا مبكرين.

حرثكم: شجركم وزرعكم.

حرد: منع.

طاغين: الطغيان، الظلم بالتجاوز عن الحدّ.



إقرأ



الميزان في تفسير القرآن

كتاب علمي، فلسفي، أدبي تاريخي، روائي، اجتماعي، حديث يفسر القرآن بالقرآن، تأليف العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي قدس سره.

يقول صاحب التفسير قدس سره في المقدمة:

وسيطلع الباحث المتدبر في الروايات المنقولة عنهم عليهم السلام، أن هذه الطريقة الحديثة التي بنيت عليها بيانات هذا الكتاب، أقدم الطرق المأثورة في التفسير التي سلكها معلموه سلام الله عليهم. ثم وضعنا أبحاثا مختلفة، فلسفية وعلمية وتأريخية واجتماعية وأخلاقية، حسب ما تيسر لنا من البحث، وقد آثرنا في كل بحث قصر الكلام على المقدمات المسانخة له، من غير تعد عن طور البحث.

كتاب في عشرين مجلدا من القطع الكبير وهو يعتبر من أهم التفاسير.

الدرس الرابع

قصة طالوت والقائد الصالح

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوَاْ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * وَقَالَ لَهُمْ نِبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلآئِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ * وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاء وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [١].

---

(١) البقرة: ٢٤٧-٢٥١.

القصة

عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام: إن بني إسرائيل بعد موسى عملوا بالمعاصي وغيروا دين الله وعتوا عن أمر ربهم، وكان فيهم نبي يأمرهم وينهاهم فلم يطيعوه، فسلط الله عليهم جالوت وهو من القبط، فأذلهم وقتل رجالهم وأخرجهم من ديارهم وأخذ أموالهم واستعبد نساءهم، ففزعوا إلى نبيهم وقالوا: سل الله أن يبعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله، وكانت النبوة في بني إسرائيل في بيت، والملك والسلطان في بيت آخر، لم يجمع الله لهم النبوة والملك في بيت واحد، فمن ذلك قالوا: ﴿**ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ**﴾ فقال لهم نبيّهم ﴿**قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا**﴾ وكان كما قال تعالى ﴿**فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ**﴾ [1]، فقال لهم نبيهم: ﴿**وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا**﴾ فغضبوا من ذلك وقالوا: ﴿**أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ**﴾ وكانت النبوة في ولد لاوي، والملك في ولد يوسف، وكان طالوت من ولد ابن يامين أخي يوسف لأمه، لم يكن من بيت النبوة ولا من بيت المملكة،فقال لهم نبيهم: ﴿**إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ وكان أعظمهم جسما، وكان شجاعا قويا، وكان أعلمهم، إلا أنه كان فقيرا فعابوه بالفقر، فقالوا: فقال لهم نبيهم: ﴿**إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلآئِكَةُ**﴾ وكان التابوت الذي أنزله الله على موسى فوضعته فيه أمه وألقته في اليم، فكان في بني إسرائيل يتبركون به، فلما حضر موسى الوفاة وضع فيه الألواح ودرعه وما كان عنده من آيات النبوة وأودعه يوشع وصيه، فلم يزل التابوت بينهم حتى استخفوا به، وكان الصبيان يلعبون به في الطرقات، فلم

(١) البقرة: ٢٤٦.

يـزل بنـو إسرائيل في عز وشرف مـا دام التابوت عندهم، فلمـا عملوا بالمعاصي واستخفوا بالتابوت رفعه الله عنهم، فلما سألوا النبي وبعث الله إليهم طالوت ملكا يقاتل معهم رد الله عليهم التابوت، كما قال الله: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِه أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلآئِكَةُ﴾ والبقية: ذرية الأنبياء، وقوله: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ فإن التابوت كان يوضع بين يدي العدو وبين المسلمين فتخرج منه ريح طيبة لها وجه كوجه الإنسان.

الدروس المستفادة من هذه القصة

صفات القائد بين الاختيار الإلهي والاختيار البشري

تحكي لنا هذه القصة التي جرت مع بني إسرائيل عن تلك الصفات التي ينبغي أن يتمتـع بها القائد، والتي تكون معياراً يؤهّله لأن يكون له أمر قيادة الناس إلى ما فيـه صلاحهـم وخيرهم، كما تحكي عـن الصفات والموازين التـي يراها الإنسان المادي معياراً لذلك وتبين خطأ تلك المعايير البشرية.

أ. المعايير الإلهية:

ورد فـي هـذه الآية ذكر صفتيـن من الصفات التي لا بـد وان تتوفر في الإنسان الـذي يراد له أن يكون قائداً يسير الناس خلفه في المطالبة بحقوقهم والدفاع عن وجودهم وكيانهم، وهما:

أولا: العلم

إن الصفـات التي تؤهّل الشخص للقيادة بتعاليم الإسلام لها علاقة بالصفات الشخصيـة التي يتمتع بها، وعلى رأسها العلم، وهي الصفة التي تؤهل الإنسان لأن يكون قائداً وأميراً على القوم.

وقـد ورد عن رسول الله ﷺ: «ما ولت أمة قـط أمرها رجلاً وفيهم أعلم منه إلا لـم يزل أمرهم يذهب سفالاً حتى يرجعوا إلى مـا تركوا»[1]. ونحن نلاحظ أن الله

(١) كتاب سليم بن قيس الهلالي، ص ٢٠٥.

تعالــى وصف طالوت بأنه زاده بسطة في العلم، أي انه كان يفضل عليهم بالعلم، لا انه كان يساويهم.

ثانيا: صفات وقدرات جسميّة

لا يكفــي فــي القائد أن يكون عالماً بل ينبغي أن يكون ذا صفات وقدرات جسمية تؤهّلــه للقيــادة بحسب ما يفترضه هــذا المقام، وما تقتضيه المهــام الملقاة على عاتقه، وقد ورد عن الإمام علي عليه السلام :«يحتاج الإمام إلى قلب عقول، ولسان قؤول، وجنان على إقامة الحق صؤول»[1].

فــلا بد وان يكون القائد قــوي القلب يتمكن من اتخاذ قرارات حاسمة في بعض المواطن التي قد يتردد فيها الإنسان العادي.

كما ورد عن الإمام علي عليه السلام : إن أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه وأعلمهم بأمر الله فيه، فإن شغب شاغب استعتب، فإن أبى قوتل[2].

ويصــف الإمام علي عليه السلام مالــك الأشتر في كتابه لأهل مصــر لما ولاه مصر يقول:

«أمــا بعد، فقد بعثت إليكم عبــداً من عباد الله لا ينام أيام الخوف ولا ينكل عن الأعداء ساعات الروع، أشد على الكفار من حريق النار، وهو مالك بن الحارث أخو مذحــج، فاسمعوا لــه وأطيعوا أمره في ما طابق الحق، فإنه سيف من سيوف الله لا كليل الظبة ولا نابي الضريبة. فإن أمركم أن تنفروا فانفروا، وإن أمركم أن تقيموا فأقيموا»[3]

ب. المعايير البشرية:

أولا: النسب والحسب

فــان الكثير من الناس يظــن أنه إذا كان صاحب نسب بــأن كان من سلالة كان

---

(١) ميزان الحكمة، الريشهري، ج١،ص ١٢١.

(٢) ميزان الحكمة، الريشهري، ج١، ص ١٢٢.

(٣) نهج البلاغة، الكتاب٣٨، من كتاب له إلى أهل مصر لما ولى الأشتر مصر.

لهـا الحكم والسلطة والإمرة والقيـادة فان هذا يؤهّله لأن يكون أحقّ من غيره لهذا المنصـب والمقـام. كما احتجت قريش على أن الخلافـة لا بد وأن تكون فيها لأنها أقرب إلى رسول الله، فهي افتخرت بنسبها مع أنّ النسب ليس معياراً لمقام الإمامة والقيادة.

ثانيا: سعة المال

يـرى بعض الناس أنّ من لا يكون صاحب حسب ونسب فلا بد وأن يكون صاحب مال يجبر فيه ما ينقصه من الحسب والنسب، وهذا المنطق هو منطق أهل الشرك والضلال.

ومن هنا نجد أن الناس تميل إلى احترام صاحب المال لما يملكه من مال، وهذا الاحتـرام احترام مؤقت فـإذا زال ما عنده من المال تـرك الناس ذلك الاحترام، ولهذا لا يصح أن يكون امتلاك المال معياراً في القيادة، بل لا بد وأن تكون الصفة التي تجعل الشخص أهلاً للقيادة من الصفات التي لا تقبل الزوال كالعلم.

الابتلاء والاختبار الإلهي

هـل يكفي إعلان الناس عن استعدادهـم للقتال والجهاد لكي يمشي القائد بهم إلى الحرب والقتال؟ لا، بل لا بد له من أن يمتحنهم ليعرف منهم الطاعة والالتزام بأوامـره ونواهيـه وهذا ما حصل مع طالوت عليه السلام فقـد أراد الله أن يختبر هؤلاء الذين أرادوا قتال عدوهم قبل أن يقع القتال، وفي هذا الاختبار تمكن القائد طالوت من معرفة من أخلص النية في الجهاد والقتال ممن مشى معه لمصالح آنية أو لأنه رأى الناس تمشي فمشى بمشيهم.

وهكذا تظهر أهمية الطاعة للقائد، وانه ما لم تعلم الطاعة فان على القائد أن لا يقدم على الحرب والقتال فان ذلك قد يترتب عليه الهزيمة والخسران.

لقد كانت نتيجة هذا الاختبار أن لا تثبت سوى الفئة القليلة ولكن هذه الفئة القليلة تمتاز بأنها مؤمنة ومخلصة ولذلك فان النصر سوف يكون حليفها بإذن الله تعالى.

وقد ورد عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «يحق على الإمام أن يحكم بما أنزل الله وأن يؤدي الأمانة، فإذا فعل ذلك فحق على الناس أن يسمعوا له ويطيعوا ويجيبوه إذا دعا»[1].



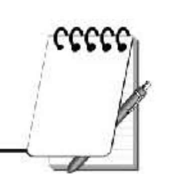

خلاصة الدرس

١. تتضمن القصة مفاهيم تربوية تتعلق بمسألة صفات القائد ولزوم طاعته.

٢. في صفات القائد معايير إلهية ومعايير بشرية. أما المعايير الإلهية فهي ترجع إلى صفتين في القائد: العلم، وقوة الجسم والشجاعة. وأما المعايير البشرية فهي ترجع إلى صفتين: النسب والحسب، المال والثروة.

٣. الدليل على كون المعيار الصحيح هو العلم وقوة الجسم أن هاتين الصفتين بهما يتمكن القائد من تحقيق النصر وأما الحسب والثروة مع الجهل والضعف فنتيجته الهزيمة

٤. إن امتحان الناس واختبارهم لازم وضروري قبل إقحامهم الحرب والقتال، لان كثيرا من الناس قد يتراجعون عند أول مواجهة.


أسئلة حول الدرس

١ – ما هي الصفات الأساسية للقائد؟

٢ – لماذا رفض الناس قيادة طالوت؟

٣ – لماذا ابتلاهم الله تعالى بالنهر؟

(١) الريشهري، ميزان الحكمة، ج١، ص ١٢٤.



للمطالعة

عن الإمام الصادق عليه السلام : إن الله أوحى إلى نبيهم أن جالوت يقتله من يستوي عليه درع موسى، وهو رجل من ولد لاوي بن يعقوب، واسمه داود بن إيشا راع، وكان لإيشا عشرة بنين، أصغرهم داود. فلما بعث الله طالوت إلى بني إسرائيل، وجمعهم لحرب جالوت، بعث إلى أيشا بأن أحضر ولدك. فلما حضروا دعا واحدا واحدا من ولده، فألبسه درع موسى، فمنهم من طالت عليه، ومنهم من قصرت عنه. فقال لإيشا: هل خلفت من ولدك أحدا ؟ قال: نعم أصغرهم، تركته في الغنم يرعاها. فبعث إليه، فجاء به. فلما دعي أقبل ومعه مقلاع. قال: فنادته ثلاث صخرات في طريقه: يا داود ! خذني، فأخذها في مخلاته، وكان حجر الفيروزج. وكان داود شديد البطش، شجاعا، قويا في بدنه. فلما جاء إلى طالوت، ألبسه درع موسى، فاستوت عليه. قال: فجاء داود فوقف حذاء جالوت، وكان جالوت على الفيل، وعلى رأسه التاج، وفي جبهته ياقوتة تلمع نورا، وجنوده بين يديه. فأخذ داود حجرا من تلك الأحجار، فرمى به في ميمنة جالوت، ووقع عليهم، فانهزموا. وأخذ حجرا آخر، فرمى به في ميسرة جالوت، فانهزموا. ورمى بالثالث إلى جالوت، فأصاب موضع الياقوتة في جبهته، ووصلت إلى دماغه، ووقع إلى الأرض ميتاً.





للحفظ

أحق: أجدر وأولى.

لم يؤت: لم يعط.

سعة: الغنى.

بسطة: سعة.

التابوت صندوق من خشب، كان يضع موسى فيه التوراة، او الذي وضعته أمه فيه لما ألقته في النهر.

سكينة: الطمأنينة.

بقية مما ترك آل موسى: ما تركه موسى عليه السلام في التابوت من العصا والثياب.

فصل طالوت بالجنود: فارق المكان.

مبتليكم: الابتلاء الاختبار والامتحان.



إقرأ



تفسير شبّر

تفسير القرآن الكريم للعلامة المحقق الجليل السيد عبد الله شبر المتوفى عام ١٢٤٢ هـ.

قال المقدم في التعريف بالكتاب:

جمع - أي العلامة شبر - في تفسيره بين الدقة في أداء المعنى، والإيجاز في إرسال العبارة وتحريرها على غاية الدقة...

إن تفسير (العلامة السيد عبد الله محمد رضا شبر) قياسا على المنهج الذي سلكه: يعتبر للمنتهين وللمبتدئين جميعاً. أما عن كونه للمنتهين، فلأنه غاية في التركيز والإيجاز والحرص على إيراد مصطلحات علم التفسير. وأما عن كونه للمبتدئين فلأنه جاء في أسلوب سهل ميسر، يجمع بين منهج التبسيط، ومنهج

التعليـل، ولا يكاد يجـد الناشئ والمبتدئ مشقة في الوقوف علـى معنى الآيات لما فيـه من الوضوح والبيان. وميـزة أخرى انفرد بها تفسير هـذا الإمام، وهي عناية الاستقصـاء بالأداء القرآني في وجوهـه المروية عن السلف والمعروفة عند علماء القراءات.

كتـاب في مجلد واحد مـن القطع الكبير سهل لمـن اراد الوصول للمعنى بشكل سريع يمكن الإستفادة منه في التلاوة ومراجعة المعاني في آن واحد.

الدرس الخامس

الثبات على الإيمان

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ * وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ * وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ * قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [1].

القصة

من هم أصحاب الأخدود وما هي قصتهم بالتفصيل؟ هناك العديد من الكلمات في هذا الموضوع، وقد ورد في تفسير القمي في قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾، قال:» كان سببه أن الذي هيج الحبشة على غزوة اليمن ذو نواس وهو آخر من ملك من حمير تهود واجتمعت معه حمير على اليهودية وسمى نفسه يوسف وأقام على ذلك حيناً من الدهر. ثم أخبر أن بنجران بقايا قوم على دين النصرانية وكانوا على دين عيسى وحكم الإنجيل، ورأس ذلك الدين عبد الله بن بريامن، فحمله أهل دينه على أن يسير إليهم ويحملهم على اليهودية ويدخلهم فيها فسار

(١) سورة البروج: ١-٩.

حتى قدم نجران فجمع من كان بها على دين النصرانية ثم عرض عليهم دين اليهودية والدخول فيها فأبوا عليه فجادلهم وعرض عليهم وحرص الحرص كله فأبوا عليه وامتنعوا من اليهودية والدخول فيها واختاروا القتل. فاتخذ لهم أخدوداً وجمع فيه الحطب وأشعل فيه النار، فمنهم من أحرق بالنار ومنهم من قتل بالسيف ومثّل بهم كل مثلة، فبلغ عدد من قتل وأحرق بالنار عشرين ألفاً،وأفلت منهم رجل يدعى دوش ذو ثعلبان على فرس له ركضة، واتبعوه حتى أعجزهم في الرمل، ورجع ذو نواس إلى صنيعه في جنوده...».

الدروس المستفادة من هذه القصة

الثبات على الإيمان

الإيمان الحقيقي الذي يدخل إلى قلب الإنسان هو الذي يجعله يقف عند الشدائد موقفاً صلباً، فلا يتنازل ولا يتوانى عن نصرة الحق، وهذه هي قصة أصحاب الأخدود فهم قوم رفضوا الخضوع والخنوع وتحملوا في سبيل ذلك القتل بل وأشد أنواع القتل، الا وهو القتل بالإحراق بالنار.

وقد أورد الله عز وجل هذه القصة في كتابه الكريم تسلية للمسلمين وتثبيتاً لهم على الإيمان في مكة حيث كانوا يتلقون اشد أنواع العذاب من كفار قريش.

وأصحاب الأخدود هم الذين ذاقوا حلاوة الإيمان؛ فقد ورد في رواية عن رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه ذاق طعم الإيمان: من كان لا شيء أحب إليه من الله ورسوله، ومن كان لئن يحرق بالنار أحب إليه من أن يرتد عن دينه، ومن كان يحبّ لله ويبغض لله»[1].

وهذا الثبات على الإيمان له مصاديقه البارزة في عصور الإسلام المختلفة، فمن قصة ياسر وزوجته سمية في أيام الإسلام الأولى، إلى قصة الحسين الشهيد، إلى زماننا هذا، قصص كبيرة من الثبات الراسخ على الإيمان.

(١) الريشهري، ميزان الحكمة، ج١، ص٢٠٠.

الإسلام والإيمان

الإيمـان رتبـة أرقى ومرحلة أعلى مـن الإسلام وقد نصّ علـى ذلك قوله تعالى ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[١].

وورد تعريـف الإيمان في الرواية عن رسول الله ﷺ: «الإيمان ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال، والإسلام ما جرى على اللسان»[٢].

خصائص الإيمان

أ. الاقتران بالعمل الصالح:

لا يكـون المؤمن مؤمناً حتى يصدق فعله ما يعتقده، فقد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام: «الإيمان عقد بالقلب، ولفظ باللسان، وعمل بالجوارح»[٣].

وعـن رسـول الله ﷺ: «الإيمـان والعمل أخـوان شريكان في قـرن، لا يقبل الله أحدهما إلا بصاحبه»[٤].

ب. التسليم أمام الإرادة الإلهية:

حقيقـة الإيمـان هو التسليم أمام الإرادة الإلهية، سـواء في ما يرجع إلى الأمور التكوينيـة ومـا يحـل بالإنسان من البـلاء، أو في ما يرجـع إلى الأمـور التشريعية بالالتزام بأوامره ونواهيه، ولا سيما فيما إذا كان في الامتثال للأمر الإلهي تضحية وبذل للنفوس والأموال. وقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «بينا رسول الله ﷺ في بعض أسفاره إذ لقيه ركب فقالوا: السلام عليك يا رسول الله، فقال ﷺ: ما أنتم؟ قالـوا: نحن مؤمنـون، قال ﷺ: فما حقيقة إيمانكم؟ قالـوا: الرضا بقضاء الله والتسليـم لأمر الله والتفويض إلى الله تعالى، فقال ﷺ: علمـاء حكماء كادوا أن

(١) الحجرات: ١٤.

(٢) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٢٠٨.

(٣) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٦، ص٦٥.

(٤) الريشهري، ميزان الحكمة، ج١، ص ١٩٣.

يكونوا من الحكمة أنبياء، فإن كنتم صادقين فلا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تجمعوا ما لا تأكلون، واتقوا الله الذي إليه ترجعون»[١].

حسن الخلق كمال الإيمان

إذا بلغ الإنسان حقيقة الإيمان فإن أثر ذلك سوف يظهر على سلوكه في حياته مع الناس، كما أن اهتمام الإنسان بخلقه وسعيه للتحلي بمكارم الأخلاق ومرضيّ الصفات هو من موجبات كمال الإيمان، وقد ورد عن رسول الله ﷺ - في جواب رجل سأله: أحب أن يكمل إيماني -:«حسن خلقك يكمل إيمانك»[٢].

وعن الإمام علي عليه السلام :«أكملكم إيمانا أحسنكم خلقا»[٣].

درجات الإيمان

ليس الناس كافة على درجة واحدة من الإيمان بل هم على درجات، ووظيفة من يرقى في الدرجات العليا أن يكون عونا لمن هو دونه؛ وقد ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام :«إن الإيمان عشر درجات بمنزلة السلم، يصعد منه مرقاة بعد مرقاة، فلا يقولن صاحب الاثنين لصاحب الواحد لست على شيء حتى ينتهي إلى العاشر، فلا تسقط من هو دونك فيسقطك من هو فوقك، وإذا رأيت من هو أسفل منك بدرجة فارفعه إليك برفق، ولا تحملن عليه ما لا يطيق فتكسره، فإن من كسر مؤمنا فعليه جبره»[٤].

استحباب الدعاء للثبات على الإيمان

وقد ورد استحباب أن يدعو الإنسان الله عز وجل ليجعله راسخ الإيمان فقد ورد فعن الإمام علي عليه السلام :«إن الله جبل النبيين على نبوتهم فلا يرتدون أبداً، وجبل الأوصياء على وصاياهم فلا يرتدون أبداً، وجبل بعض المؤمنين على الإيمان فلا

---

(١) الريشهري، ميزان الحكمة، ج١، ص ١٩٢.

(٢) الريشهري، ميزان الحكمة، ج١، ص١٩٦.

(٣) عيون أخبار الرضا، ص ٤١.

(٤) الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٤٥.

يرتدون أبداً، ومنهم من أعير الإيمان عارية، فإذا هو دعا وألح في الدعاء مات على الإيمان»[1].




خلاصة الدرس

١ـ الإيمان الحقيقي هو الإيمان الراسخ الذي يجعل الإنسان صلباً أمام الشدائد ومن ذاق طعم الإيمان هو من يختار الموت على أن يتبدل الكفر بالإيمان.

٢ـ الإيمان أرقى من الإسلام لأن الإيمان عقد القلب وقد نص القرآن الكريم على أن الإيمان غير الإسلام.

٣ـ خصائص الإيمان هو أن يقترن بالعمل الصالح، وان يتصف بالتسليم أمام الإرادة الإلهية.

٤ـ حسن الخلق من كمال الإيمان.

٥ـ يستحب للإنسان الدعاء بان يثبت الله قلبه على الإيمان.





أسئلة حول الدرس

١ – ما هي العبرة الأساسية المستفادة من قصة أصحاب الأخدود ؟

٢ – أذكر أهم خصائص الإيمان.

٣ – ما العلاقة بين حسن الخُلق والإيمان؟

---

(١) الكليني، الكافي، ج ٢، ص٤١٩.



للمطالعة

عن رسول الله ﷺ قال: كان ملك فيمن كان قبلكم له ساحر، فلما مرض الساحر، قال: إنـي قد حضر أجلي، فادفع إلي غلاما أعلمه السحر. فدفع إليه غلاما، وكان يختلـف إليه. وبيـن الساحر والملك راهـب. فمر الغلام بالراهـب فأعجبه كلامه وأمـره، فكان يطيل عنده القعود، فإذا أبطأ عن الساحر ضربه، وإذا أبطأ عن أهله ضربـوه، فشكا ذلك إلى الراهب فقال: يا بني إذا استبطأك الساحر فقل: حبسني أهلـي، وإذا استبطأك أهلك فقل: حبسني الساحر. فبينما هو ذات يوم إذا بالناس قـد حبستهم دابـة عظيمة فظيعة. فقال: اليـوم أعلم أمر الساحـر أفضل، أم أمر الراهب فأخذ حجرا، فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك، فاقتل هذه الدابة. فرمى فقتلها، ومضى الناس، فأخبر بذلك الراهب فقال: أي بني إنك ستبتلى، وإذا ابتليـت فلا تدل علي. قال: وجعل يـداوي الناس، فيبرئ الأكمـه والأبرص. فبينما هـو كذلك إذ عمي جليس للملـك، فأتاه وحمل إليه مالا كثيـرا، فقال: اشفني ولك مـا ههنـا. فقال: إني لا أشفـي أحدا، ولكن الله يشفي، فـإن آمنت بالله دعوت الله فشفاك. قال: فآمن. فدعا الله له فشفاه، فذهب فجلس إلى الملك، فقال: يا فلان مـن شفـاك ؟ قال: ربي. قال: قـال: أنا. قال: لا ربي وربك الله. قـال: أو إن لك ربا غيـري ؟ قـال: نعم ربي وربك الله. فأخذه فلم يزل بـه حتى دله على الغلام. فبعث إلـى الغـلام فقال: لقد بلغ مـن أمرك أن تشفـي الأكمه والأبرص. قـال: ما أشفي أحـدا، ولكـن الله ربي يشفي. قال: أو إن لك رباً غيـري ؟ قال: نعم ربي وربك الله. فأخـذه فلـم يزل به حتى دله علـى الراهب. فوضع المنشار عليـه فنشره حتى وقع شقين، وقال للغلام: إرجع عن دينك فأبى. فأرسل معه نفرا. وقال: إصعدوا به جبل

كذا وكذا، فإن رجع عن دينه، وإلا فدهدهوه منه. قال: فعلوا به الجبل، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت. قال: فرجف بهم الجبل فتدهدهوا أجمعون، وجاء إلى الملك فقال: ما صنع أصحابك؟ قال: كفانيهم الله. فأرسل به مرة أخرى، قال: انطلقوا به فلججوه في البحر، فإن رجع وإلا فغرقوه. فانطلقوا به في قرقور فلما توسطوا به البحر قال: اللهم اكفنيهم بما شئت. قال: فانكفأت بهم السفينة، وجاء حتى قام بين يدي الملك. فقال: ما صنع أصحابك؟ قال: كفانيهم الله. ثم قال: إنك لست بقاتلي، حتى تفعل ما آمرك به، إجمع الناس، ثم اصلبني على جذع، ثم خذ سهما من كنانتي، ثم ضعه على كبد القوس، ثم قل: باسم رب الغلام، فإنك ستقتلني

قال: فجمع الناس، وصلبه، ثم أخذ سهما من كنانته، فوضعه على كبد القوس، وقال: باسم رب الغلام، ورمى فوقع السهم في صدغه، ومات. فقال الناس: آمنا برب الغلام. فقيل له: أرأيت ما كنت تخاف قد نزل والله بك، آمن الناس. فأمر بالأخدود فخددت على أفواه السكك، ثم أضرمها نارا. فقال: من رجع عن دينه فدعوه، ومن أبى فأقحموه فيها، فجعلوا يقتحمونها. وجاءت امرأة بابن لها، فقال لها: يا أمه اصبري فإنك على الحق.




للحفظ

البروج: البرج هو البناء العالي، ويطلق على السور الذي يحيط بالبلد للدفاع عنها، وهنا كناية عن مواضع الكواكب في السماء.

اليوم الموعود: يوم القيامة.

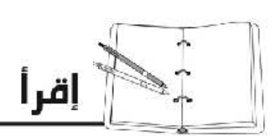
وشاهد: الذي يشهد على الناس فيما يفعلونه.

الأخدود: الشق العظيم في الأرض.

الوقود: ما تشعل به النار من الحطب وغيره.

نقموا: من الانتقام أي الثأر.





إقرأ

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل.

تأليف العلامة الفقيه المفسر آية الله الشيخ ناصر مكارم الشيرازي

لكل عصر خصائصه وضروراته ومتطلباته، وهي تنطلق من الأوضاع الاجتماعية السائدة في ذلك العصر، ولكل عصر مشاكله وملابساته الناتجة من تغيير المجتمعات والثقافات، وهو تغيير لا ينفك عن مسيرة المجتمع التاريخية الفكرية الفاعلة، هو ذلك الذي فهم الضرورات والمتطلبات، وأدرك المشاكل والملابسات. هذا ما قاله البحاثة الفريد الفقيه والمفسر المعاصر الأمثل، العلامة آية الله الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في دوافع تأليف تفسيره الأمثل.

ولهذا فإن كتاب الأمثل يعتبر التفسير الأنسب لكل القراء سواء المتخصصين في مجال معين أم ذوي الثقافة العادية ، فهو كتاب سهل المعاني سلس الشرح دقيق في تبيان الفكرة.

يقع في عشرين مجلدا من الحجم الكبير.

الدرس السادس

لا نهاية لطلب العلم

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا * فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا * فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا * قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا * قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا * فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا * قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا * قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا * قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا * فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا * فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا * فَانطَلَقَا

حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا * قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا * أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا * وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا * فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا * وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ (1).

قصة موسى والخضر عليهما السلام

أوحى الله سبحانه إلى موسى أن هناك عبدا من عباده عنده من العلم ما ليس عند موسى وأخبره أنه إن انطلق إلى مجمع البحرين وجده هناك، وهو المكان الذي يحيى فيه الحوت الميت. فعزم موسى أن يلقى العالم ويتعلم منه بعض ما عنده إن أمكن وأخبر فتاه (وهو وصيه يوشع بن نون) عما عزم عليه فخرجا قاصدين مجمع البحرين وقد حملا معهما حوتا ميتا وذهبا حتى بلغا مجمع البحرين وقد تعبا، وكانت هناك صخرة على شاطئ البحر فأويا إليها ليستريحا هنيئة وقد نسيا حوتهما وهما في شغل منه. وإذا بالحوت اضطرب ووقع في البحر حياً، وغار فيه والفتى يشاهده ويتعجب من أمره غير أنه نسي أن يذكره لموسى حتى تركا الموضع وانطلقا حتى جاوزا مجمع البحرين (خليج العقبة وخليج السويس ويلتقيان في البحر الأحمر) وقد حل بهما التعب فقال له موسى: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا. فذكر الفتى ما شاهده من أمر الحوت، وقال لموسى: إنا إذ أوينا إلى الصخرة حي الحوت ووقع في البحر يسبح فيه حتى غار وكنت أريد ان أذكر

(1) سورة الكهف: ٦٠-٨٢.

لك أمره لكن الشيطان أنسانيه.

فقـال لـه موسى: إن ذلك مـا كنا نريده لأن ذلك علامة المـكان الذي لا بد وان يتـم فيه اللقـاء مع الخضر. وهنـاك التقيـا بالعبد الصالـح أي الخضر وطلب منه موسـى أن يتبعه ليتعلم منه. ولكن الخضر أجاب موسى بأنه لن يستطيع أن يتحمل مـا سيعترضه فـي طريق التعلم من حوادث، وكان شـرط تعليم الخضر لموسى أن لا يسـأل موسى عن أي شـيء إلى أن يخبره الخضر بحقيقة الحال. وهذه الحوادث التي وقعت هي ثـلاث: خرق السفينة، وقتل الغلام وبناء الجدار. ولكن موسى بادر عنـد كل حادثة إلى السؤال وبـادر الخضر عليه السلام إلى تذكيره بالشرط إلى أن سأل عن الأمر الثالث فقال له الخضر إن هذا نهاية الطريق وانك لن تتحمل ما تراه مني وفسّر له حقيقة ما وقع منه في كل حادثة منها.

الدروس المستفادة من القصة:

١ـ لا نهاية لطلب العلم

مـن أهم الدروس المستفـادة من هذه القصة، إن نبياً بلـغ حداً من العلم جمع علـم النبوة،ولما علـم أن هناك علماً عند شخصٍ آخر، ذهـب إليه ليبحث عنه مع التصميـم والإرادة إلـى أن يبحث عنـه ولو استغرق الأمر منه دهـراً طويلاً ويجعل نفسـه تابعاً له لكي يتلقـى ما لديه من علم. فالعلم لا نهاية لـه وعلى الإنسان أن لا يخجـل من طلـب العلم مهما بلغ من الرفعة والمكانة فـلا خجل ولا حياء في ذلك، ولنتذكر الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد»[1].

٢ـ الناس أعداء ما جهلوا

لا غرابـة إطلاقـا فـي أن يقـف موسى موقـف المستنكـر لما شاهـده من فعل الخضـر. لأنه عرف ظاهر الأمر ولم يعرف تأويله وحقيقته، وهذا يعطينا درسا في

(١) الريشهري، العلم والحكمة في الكتاب والسنّة، ٢٠٧.

أن الإنسان قد يتخذ في حياته بعض المواقف نتيجة جهله بحقيقة الحال، فتراه يبادر إلى الاستنكار والمواجهة والرفض مع عدم إحاطته بما تجري عليه الأمور، ومن هنا نجد أهمية الطاعة للقيادة الشرعية المتمثلة بالولي الفقيه الذي يجسّد خط العلماء الذين أوكل الله عز وجل إليهم في عصر الغيبة أمر هذه الأمة وأمر الناس بالرجوع إليهم، فإذا اتخذ هؤلاء العلماء موقفا مما يجري من الأحداث فلا يحق لمن لم يطلع على حقيقة موقفهم ودافعهم الاعتراض أو تجاوز ذلك والوقوع- والعياذ بالله- في اتهامهم وغيبتهم وإهانتهم أو الرد عليهم.

إن الموقف الصحيح هو الموقف الذي يقوم على أساس الإحاطة بكل جوانب القضية وكل ما يرتبط بها من قريب او بعيد.

٣. أدب التلميذ مع الأستاذ

استفاد العلماء من قصة موسى والخضر، ولاسيّما هذا الحوار الذي دار بين التلميذ والأستاذ آداباً عامة ينبغي لمن يريد العلم أن يتحلى بها، هذه الآداب التي سار عليها الأنبياء عليهم السلام وسار عليها أمير المؤمنين علي عليه السلام مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

أ. **جعل نفسه تابعا له**، حيث قال له أتبعك، وهذا إقرار بأن التلميذ مهما بلغ درجة من الرقي فلا بد وان يعترف بأنه أقل درجة ومنزلة من الأستاذ. والمتابعة تقتضي التسليم، لأن المتابعة هي عبارة عن الإتيان بمثل فعل الغير، فعلى التلميذ أن يقلد فعل الأستاذ ما دام هو المعلم له. وهذا الإتباع وهذا التسليم يعني عدم مناقشة الأستاذ في ما يقوم به خلال عملية التعليم، لأنك إذا كنت تعترف له بالعلم، فإنه لن يفعل إلا بعلم.

ب. **التواضع أمام الأستاذ**، فانظر إلى موسى كيف انه يستأذن من الخضر بقوله هل اتبعك؟ فالأمر إلى الأستاذ وهو صاحب الفضل في ذلك.

وقد ورد في رسالة الحقوق للإمام زين العابدين: «أما حق سائسك بالعلم فالتعظيم له والتوقير لمجلسه وحسن الاستماع إليه والإقبال عليه والمعونة له على

نفسك في ما لا غنى بك عنه من العلم بأن تفرغ له عقلك وتحضره فهمك وتزكي له (قلبك) وتجلي له بصرك بترك اللذات ونقص الشهوات، وأن تعلم أنك في ما ألقى (إليك) رسوله إلى من لقيك من أهل الجهل فلزمك حسن التأدية عنه إليهم ولا تخنه في تأدية رسالته والقيام بها عنه إذا تقلدتها ولا حول ولا قوة إلا بالله»[١]

٤. الارتباط بالغيب

جعل الله عز وجل في كتابه الكريم الإيمان بالغيب من صفات المؤمنين، بل عدّها في الآية الثالثة من سورة البقرة اول صفة في المؤمنين ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**﴾[٢] ومن أهم ثمار الايمان بالغيب والارتباط به أمران:

أحدهما: الامتناع عن ارتكاب المعاصي، فالذي يؤمن بالغيب يعلم ان الله يطلع عليه حتى في سرّه فيخشى الله عز وجل حق الخشية. وقد ورد في بيان علة ذلك عن الإمام الرضا عليه السلام: «منها انا قد وجدنا الخلق قد يفسدون بأمور باطنة مستورة عن الخلق فلولا الاقرار بالله وخشيته بالغيب لم يكن أحد إذا خلا بشهوته وإرادته يراقب أحدا في ترك معصية وانتهاك حرمة وارتكاب كبير إذا كان فعله ذلك مستورا عن الخلق بغير مراقب لاحد»[٣].

ثانيهما: التسليم أمام الإرادة الإلهية، وبهذا وردت الآية الكريمة ﴿**قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلا ضَرّاً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾[٤].

إذاً طبع الانسان ان يطلب الخير ولكنه متى علم أن الغيب بيد الله فإنه لن يكون له طريق سوى التسليم أمام الإرادة الإلهية، وهذا التسليم يمنع الإنسان من الإحباط واليأس، وبالتالي يساعد على الاستمرار والمثابرة بروح إيجابية رغم الصعاب.

---

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٧١، ص١٣.

(٢) البقرة: من الآية٣

(٣) الشيخ الصدوق، علل الشرائع، ج١، ص٢٥٣.

(٤) الأعراف:١٨٨.



خلاصة الدرس

١ - علــى الإنســان أن لا يخجــل في طلب العلــم مهما بلغ من الرفعــة والمكانة، فالعلم لا نهاية له.

٢ - قــد يتخذ الإنسان بعضــ المواقف نتيجة جهله بحقيقــة الأمور، فيبادر إلى الاستنــكار والمواجهــة والرفض مع عدم احاطته بما تجــري عليه الأمور، ومن هنا تظهر أهمية الطاعة للقيادة الشرعية، التي تتخذ مواقفها على أساس الإحاطة بكل جوانب القضية.

٣ - هنــاك آداب ينبغــي للتلميــذ أن يلتــزم بها تجــاه معلمه، ومن هــذه الآداب المتابعة للمعلم والتواضع أمامه.

٤ - مــن ثمــار الايمان بالغيــب والارتباط بــه: الامتناع عن ارتــكاب المعاصي، والتسليم أمام الإرادة الإلهية.



أسئلة حول الدرس

١ – ما هو الدرس الأساسي المستفاد من هذه القصة؟

٢ – أذكر ثلاثة من آداب التلميذ مع أستاذه.

٣ – ما هي ثمار الارتباط بالغيب؟




أسئلة ثلاثة في قصة الخضر وموسى عليهما السلام:

لا شك في أن قصة موسى والخضر عليهما السلام تثير في النفس أسئلة ثلاثة حول ما حصل معهما.

السؤال الأول هو: هل يمكن إتلاف جزء من أموال شخص بدون إجازته بذريعة أن هناك غاصبا يريد أن يصادرها ؟

السؤال الثاني: هل يمكن معاقبة فتى بذريعة الأعمال التي سيقوم بها في المستقبل ؟

السؤال الثالث: هل هناك ضرورة للعمل المجاني بهدف الحفاظ على أموال شخص معين ؟

وللإجابة على هذه الأسئلة طريقان:

الطريق الأول: تقديم جواب على كل سؤال، أما عن السؤال الأول: فبأن الحادثة الأولى اعتبروها منطبقة مع قانون الأهم والمهم، وذلك لأن حفظ مجموع السفينة عمل أهم حتما من الضرر الجزئي الذي لحقها بالخرق، وبعبارة أخرى، فإن الخضر قام هنا (بدفع الأفسد بالفاسد) خاصة وأنه كان يمكن تقدير الرضا الباطني لأهل السفينة فيما إذا علموا بهذه الحادثة.

وأما عن السؤال الثاني فبأن الفتى كان بالغا وأنه كان مرتدا أو مفسدا، وبسبب أعماله الفعلية فإنه من الجائز أن يقتل.

أما حديث الخضر عن جرائم الغلام المستقبلية، فإنه بذلك أراد أن يقول بأن جرائم هذا الغلام لا تقتصر على إفساده الراهن وجرائمه الحالية، بل سيقوم في

المستقبل بجرائم أكبر، لذا فإن قتله طبقا للموازين الشرعية وبسبب ما اقترفه من جرائم فعلية يكون جائزا.

وأما عن السؤال الثالث، فلا أحد يستطيع أن يعترض على الآخرين فيما لو قاموا بالتضحية والإيثار من أجل الآخرين، ومن أجل أن لا تضيع أموالهم دون أن يتقاضوا أجرا على أعمالهم، وهو بالضبط ما قام به الخضر، وقد لا تصل هذه الأفعال إلى حد الوجوب، إلا أنها تعتبر - حتما - من السلوك الحسن.

هذا ما يمكن أن يشكل جوابا بسيطا على الأسئلة الثلاثة.

الطريق الثاني: الجواب على الأسئلة جميعها بجواب واحد وهو: إن في هذا العالم ثمة نظامان هما: "النظام التكويني، والنظام التشريعي"، وبالرغم من أن هذين النظامين متناسقان فيما بينهما في الأصول الكلية، ولكنها قد ينفصلان ويفترقان في الجزئيات، وأن الله هو الحاكم والمسيطر على هذين النظامين، لذا فلا مانع في أن يأمر تعالى مجموعة بأن تطبق النظام التشريعي، بينما يأمر مجموعة من الملائكة أو بعض البشر (كالخضر مثلا) بأن يطبقوا النظام التكويني. ومن وجهة النظام التكويني لا يوجد أي مانع في أن يبتلي الله طفلا غير بالغ بحادثة معينة، ثم يموت ذلك الطفل بسبب هذه الحادثة، وذلك لعلم الله تعالى بأن أخطارا كبيرة كامنة لهذا الطفل في المستقبل، كما أن وجود مثل هؤلاء الأشخاص وبقاءهم يتم لمصلحة معينة كالإمتحان والابتلاء وغير ذلك. بعبارة أخرى: إن مجموعة من أوليائه وعباده مكلفون في هذا العالم بالبواطن، بينما المجموعة الأخرى مكلفون بالظواهر. والمكلفون بالبواطن لهم ضوابط وأصول وبرامج خاصة بهم، مثلما للمكلفين بالظواهر ضوابطهم وأصولهم الخاصة بهم أيضا.

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي - ج ٩ ص ٣٣٥ (بتصرف).




للحفظ

مجمع البحرين: ملتقى البحرين.

لا أبرح: لا أزال، أي الاستمرار في الشيء.

حقبا: دهرا طويلا.

السرب: النفق.

النصب: التعب.

فارتدا: رجعا.

الرشد: الصواب.

تحط به خبرا: تعلمه.

جئت شيئا إمرا: قمت بفعل مصيبة عظيمة.

ترهقني عسرا: تكلفني ما يشق علي.

نكرا: منكرا.

فأبوا: رفضوا.

يرهقهما طغيانا وكفرا: يحملهما على الكفر والمعصية.

خيرا منه زكاة: أصلح منه، وأصل الزكاة، الطهارة.




إقرأ

مجمع البيان في تفسير القران تأليف أمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي من أعلام القرن السادس الهجري حققه وعلق عليه لجنة من العلماء

والمحققين الأخصائيين قدم له الإمام الأكبر السيد محسن الأمين العاملي.

مـن ميزات هـذا التفسير أنه تطـرق للتفسير من جميع جوانبـه: أولا اللغة، ثم الإعـراب، ثـم الحجة، ثم القراءة، ثـم المعنى. وما اقتصر علـى آراء مذهب دون آخـر، بل ذكر آراء جميع المذاهـب الإسلامية وعلمائها، فجاء هذا التفسير مميزا عن سائر التفاسير ومعترفا به من قبل الأمة الإسلامية.

كتـاب فـي عشرة أجزاء من الحجـم الكبير ، يعتبر مرجعاً فـي التفسير اللغوي للقرآن الكريم.

الدرس السابع

الإيمان الراسخ

﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (١)

امرأة صالحة

يوم الزينة... إنه اليوم الذي حدده فرعون لموسى عليه السلام، يوما للتحدي في دعواه انه رسول من رب العالمين، وجمع فرعون السحرة، وواعدهم ومنّاهم بالقرب والنعم، ولكن الغلبة حتمية للمعجزة الإلهية معجزة العصا التي استطاعت أن تلحق الهزيمة بفرعون، وكان أول المؤمنين أولئك السحرة، انقلاب هز الناس. كما اهتز البيت الفرعوني لهول صدمة أخرى إنها زوجة فرعون، وأقرب الناس إليه تكفر به، وتؤمن برب موسى وبنبوة موسى، إيمانا لا يزعزعه شك إنها آسيا بنت مزاحم، وهي امرأة صالحة، رسخ الإيمان في قلبها فكفرت بالجبت والطاغوت وآمنت بالواحد الأحد.

وثبتت وصبرت رغم كل العذاب الذي حلّ بها، وقد ورد في الرواية عن أبان

(١) سورة التحريم:١١.

الأحمر قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾[1]، لأي شيء سمي ذا الأوتاد؟ قال: لأنه كان إذا عذب رجلاً بسطه على الأرض على وجهه ومد يديه ورجليه فأوتدها بأربعة أوتاد في الأرض...»[2]، وبهذه الكيفية عذب آسية بنت مزاحم زوجته، وذلك أن آسية لما عاينت المعجزة والعصا من موسى وغلبته على السحرة أسلمت فلما بان لفرعون نهاها فأبت فأوتد فرعون يديها ورجليها بأربعة أوتاد وألقاها في الشمس ثم أمر أن تلقى عليها صخرة من جبل عظيمة فلما قرب أجلها قالت: رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فارتفع لها الحجب فنظرت إلى منزلها في الجنة فسرت وضحكت فرفعها الله تعالى إلى الجنة فهي فيها تأكل وتشرب.

الدروس المستفادة من هذه القصة

إيمان راسخ وعزم لا يلين

هل يمكن للإنسان أن يصل بإيمانه إلى أن يبذل روحه دون أن يتنازل مقدار أنملة عن هذا الإيمان؟ تحكي قصة آسيا بنت مزاحم قصة امرأة دخل الإيمان قلبها وأصبح راسخا لا يزول فتحملت في سبيل الإيمان أشد أنواع العذاب. وهي لا ترجو في عذابها إلا أن تكون عند الله عز وجل في الجنة.

انه الحب لله، وهو حقيقة الإيمان، أما أن يعتقد الشخص بالشيء أو يقتنع به دون أن يدخل إلى قلبه، ويؤثر في روحه فإنه لن يبذل في سبيله الكثير.

وهذا الإيمان الراسخ ينعكس فعلاً في حياة الإنسان، وقد ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «لا يبلغ أحدكم حقيقة الإيمان حتى يحب أبعد الخلق منه في الله، ويبغض أقرب الخلق منه في الله»[3].

---

(١) ص: ١٢.

(٢) الشيخ الصدوق، علل الشرائع، ج١، ص٧٠.

(٣) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ٢٥٢.

وهذا الإيمان الراسخ هو الذي يجعل الإنسان يختار ما فيه المشقة والعذاب في سبيل إيمانه على ما فيه الدعة والراحة، وقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «لا يبلغ أحدكم حقيقة الإيمان حتى يكون فيه ثلاث خصال: حتى يكون الموت أحب إليه من الحياة، والفقر أحب إليه من الغنى، والمرض أحب إليه من الصحة. قلنا: ومن يكون كذلك ؟! قال: كلكم. ثم قال: أيما أحب إلى أحدكم يموت في حبنا أو يعيش في بغضنا ؟ فقلت: نموت والله في حبكم... قال: وكذلك الفقر..»[١].

ان هذا الإنسان الذي يصل إلى مرتبة الإيمان سوف يوفقه الله عز وجل لأن يصل إلى درجة أرقى هي الطمأنينة، والطمأنينة هي التي تجعل من هذا المؤمن راسخ الإيمان، قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً**﴾[٢].

شجرة طيبة في بيئة فاسدة

هل يمكن للإنسان أن يبرر كونه على الكفر والضلال بأنه قد عاش في بيئة غير مؤمنة، أو أن يبرر عدم التزامه بأحكام الله عز وجل بأنه عاش في بيئة لا تلتزم بأحكام الله عز وجل؟ إن الجواب الصحيح هو بالنفي، إذ أسهل ما يكون على هذا الإنسان أن يخرج من هذه البيئة الفاسدة إذا سمع نداء الحق ودعوة الدين، فهذه امرأة ضعيفة كانت زوجة لفرعون ملك مصر وكانت محاطة بكل نِعم هذه الدنيا وبكل ما تحلم به امرأة في عصرها وزمانها، فأي بيئة فاسدة أشد من بيت فرعون، ولكنها لما رأت الحق بأم عينها خرجت من تلك البيئة الفاسدة وآمنت بالحق مزلزلة كيان تلك البيئة الفاسدة. ولم تبرر لنفسها أنها لن تتمكن من أن تخرج من فرعون أو تعصي فرعون.

وهكذا المؤمن الذي ذاق حلاوة الإيمان لن يجد لنفسه مبرراً لترك إيمانه والتزامه بأحكام الشرع بمجرد أنه يعيش في بيئة فاسدة.

---

(١) العلامة المجلسي بحار الأنوار، ج٦٩، ص ٤٠.

(٢) الفتح:٤.

ويحكي لنا القرآن الكريم قصة الاختيار هذه بين الحفاظ على الإيمان وبين البيئة الفاسدة، حيث يقول: ﴿**قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾[1].

تضع هذه الآية الإنسان أمام خيارين، ولا تجد له أي مبرر إلا اختياره بنفسه لأحد الأمرين:

أ. **الآباء، الأبناء، الأزواج، الأخوان والعشيرة**، وهي النوع الأول من البيئة التي تؤثر على حياة هذا الإنسان، ثم الأموال والتجارة والمساكن وهي النوع الثاني من البيئة التي تؤثر على حياة الإنسان.

ب. **الله، رسول الله، الجهاد في سبيل الله**

وأول الخيارين هو عبارة عن البيئة التي يعيش فيها الإنسان والتي قد تخالف الخيار الآخر في كثير من الأحيان وتأخذ منه كل كيانه، وأما ثاني الخيارين فهو عبارة عن الإيمان، والذي عبرت عنه الآية الكريمة بالحب، لأنه وكما تقدم فإن حقيقة الإيمان هي الحب القلبي.

كما يعبر القرآن عن هذه القدرة لأن يخرج المؤمن من بيئة كافرة بقوله: ﴿**يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ**﴾، وقد ورد في الرواية المفسّرة لهذه الآية عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «الحي المؤمن الذي يخرج طينته من طينة الكافر، والميت الذي يخرج هو من الحي هو الكافر الذي يخرج من طينة المؤمن، فالحي المؤمن والميت الكافر، وذلك قول الله عز وجل: ﴿**أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ**﴾ فكان موته اختلاط طينته مع طينة الكافر، وكان حياته حين فرق الله

(١) التوبة:٢٤

عـز وجل بينهما بكلمته، كذلـك يخرج الله عز وجل المؤمن في الميلاد من الظلمة بعـد دخولـه فيها إلى النـور، ويخرج الكافر مـن النور إلى الظلمة بعـد دخوله إلى النور»[١].

المرأة على دين زوجها

ورد النهـي في الروايات عن تزويج أصحاب الشكوك والانحراف ففي رواية عن الإمـام أبي عبـد الله الصادق عليه السلام قال: «تزوجوا في الشـكاك ولا تزوجوهم لأن المرأة تأخذ من دين زوجها ويقهرها على دينه»[٢].

وهذا من الأمور التي نهى عنها الشارع لأجل وقاية المرأة من الضلال والانحراف، ولكـن ذلك لا يكون حجّة لها لتبـرر انحرافها او ضلالها، فهذه قصة امرأة فرعون تشـكل نموذجا واضحا على ان المرأة المؤمنـة تخرج عن طاعة زوجها حيث يكون في ذلك معصية الله عز وجل، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولذا أفتى الفقهاء بأنه ليس على المرأة طاعة زوجها إذا منعها من فعل ما يكون واجباً عليها كالحج، بل لو أطاعته وعصت الله عز وجل فإنها سوف تحاسب على ذلك.



خلاصة الدرس



١ـ إن حقيقـة الإيمان هي ذلك الذي يعتقده الإنسان بقلبه، لا مجرد ما يقتنع به أو يراه صحيحاً. ومن يريد أن يصل إلى الإيمان الراسخ والثابت فان عليه أن يرقى بإيمانه إلى درجة حب الله ورسوله.

٢ـ إن المؤمن الحقيقي هو الذي يختار ما عند الله على كل ما يكون عنده في هذه

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٤، ص٨٨.

(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج٥، ص ٣٤٨.

الدنيا، لان ما عند الله باق وما في هذه الدنيا مصيره إلى الزوال والفناء.

٣. البيئة الفاسدة وغير المؤمنة لا تبرر لمن ينشأ فيها البقاء على الضلال، كما أنها لا تشكل عذرا مقبولا له عند الله في عدم التزامه بأحكامه.



أسئلة حول الدرس



١ – لماذا سمي فرعون بذي الأوتاد ؟

٢ – ما الذي كانت ترجوه آسيا عند تعرضها لعذاب فرعون؟

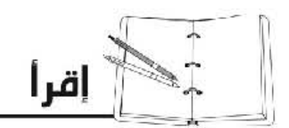
٣ – هل يعتبر نشوء الإنسان في بيئة فاسدة مبرراً صحيحاً لانحرافه؟ لماذا؟

للمطالعة



وعـن ابن عباس: قال: أخذ فرعون امرأته آسية حيـن تبين له إسلامها يعذبها لتدخل في دينه، فمر بها موسى وهو يعذبها فشكت إليه بإصبعها، فدعا الله موسى أن يخفـف عنها، فلم تجد للعذاب مسـاً، وإنها ماتت من عذاب فرعون لها، فقالت وهـي فـي العذاب:«رب ابن لي عندك بيتـا في الجنة» وأوحـى الله إليها: أن ارفعي رأسـك، ففعلت فأريـت البيت في الجنة بنـي لها من در فضحكـت، فقال فرعون: انظروا إلى الجنون الذي بها، تضحك وهي في العذاب.

وعن رسول الله ﷺ : أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد ﷺ ، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون.


إقرأ


مفتاح أحسن الخزائن الإلهية

تأليف العلامة المحقق آية الله المجاهد الشهيد السعيد السيد مصطفى الخميني قدس سره.

يقول المقدم للكتاب أن هذا التفسير يعتبر من التفاسير النادرة الحاوية على الفوائد العظيمة، والعلوم الكثيرة، والنكات العلمية المتنوعة، والمواعظ الدينية النافعة، والأخلاق الإسلامية الرفيعة، مما يحيي القلوب ويزيد المؤمن إيمانا واطمئنانا ويشرح الصدور ويملؤها هداية ونورا. ولا عجب حيث إن مؤلفه جامع للمعقول والمنقول، عارف بالعلوم العربية من لغة وصرف ونحو وبلاغة وغيرها، ملم بالكلام والحكمة والعرفان، وهو بعد ذلك فقيه أصولي بارع، وقد أخذ على نفسه مع توسعه في تفسيره أن يتجنب البحوث التي لا طائل تحتها ولا تمت إلى أهداف القرآن بصلة، ولا يجتني منها القارئ هداية ولا يكتسب منها نورا، وأن يهذب كتابه هذا عن الآراء السقيمة والوجوه الباردة الخالية عن النفع والفائدة. وقد اهتدى صاحب هذا التفسير بالسنة المطهرة والأحاديث الشريفة في تفسيره هذا، كما عزز آراءه بالدليل والبرهان، حيث إن السنة المطهرة قرينة القرآن الكريم، والعقل الرشيد مؤيد لهما وهاد إليهما، فهي جميعا متطابقة. وبهذا استطاع هذا المفسر العلامة أن يغور في فهم القرآن الكريم بدقة وعمق، ويكشف عن أسرار الآيات الشريفة. وقد تميز هذا التفسير فوق ذلك بتدقيقه في كلمات القرآن كلمة كلمة، مناقشا للغويين في آرائهم، كاشفا عن مواطن خطئها، مبديا

لرأيه في قبالهم عن علم واجتهاد وتحقيق، وقد استفاد من ذلك كثيرا في تفسيره من خلال تأمله في دقائق الألفاظ وتراكيب الكلام.

كتاب في خمسة مجلدات من القطع الكبير.

الدرس الثامن

الإيمان الحقيقي

﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ * وَاسُتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوَءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ * وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ * فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ * يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ * وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ * فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ * قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن

نَفْسه فَاسَتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ * قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ * فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[1].

القصة

مـنّ الله علـى نبيه يوسف عليه السلام بأن أنجاه من البئر بعد أن ابتلاه الله عز وجل بأخوتـه الذيـن أرادوا التخلصـ منه، ولكـن الله عز وجل كتب علـى أنبيائه البلاء امتحاناً منه لهم ولرفع درجتهم، والبلاء الذي يبتلي الله به عباده الصالحين على أنواع كثيرة منها ما ابتلى به يوسف من زوجة عزيز مصر.

فقد اشترى عزيز مصر يوسف وهو فتى لم يبلغ الحلم وأعجب بالفتى فطلب من زوجته أن تكرم هذا الفتى وكان ممن حرمه الله نعمة الولد. وهذه نعمة أراد الله عز وجل أن يعوّض فيها ليوسف ما ابتلاه به مما فعله إخوته معه لما وجده صابراً.

وكبر يوسف وأصبح شاباً قوياً ووهبه الله جمالاً فاق به الناس من حوله، وكانت زوجـة العزيز أكثر الناس تعلقاً به، وتحركت بها الغريزة وتاقت نفسها إلى يوسف. وهيأت الظروف من إغلاق الأبواب والدعوة الصريحة والملحة، إنها امرأة عزيزة في قومها صاحبة مقام ورفعة تطلب من يوسف الشاب في مقتبل العمر أن يراودها وهـذا مـن أشد ما وقع من البـلاء على يوسف، ولكن ماذا فعـل يوسف؟ لقد رفض ذلك وبشدة. وبماذا برر يوسف رفضه لقد قال:«معاذ الله!» انه الخوف من الله عزّ وجـلّ، لا مـن أي شيء آخر. ولما نجح يوسف في هذا الاختبـار أراد الله أن يجزيه هذا النجاح إنها شهادة البراءة ليوسف تأتيه سريعاً ودون مقدمات، إنّه شاهد من أهلهـا (امرأة العزيز) يعطي دليـلاً واضحاً على براءة يوسف، إنّه قميص يوسف، فـإن كانت المحاولة منه نحوها فهذا يعنـي أن القميص لا بد وأن يكون ممزقاً من

(١) سورة يوسف: ٢٣-٣٤.

الأمام لأنها ستدافع عن نفسها منه، وإن كانت المحاولة منها فهذا يعني أن القميص لا بد وأن يكون ممزقاً من الخلف لأنها هي التي ستلحق به وتمزق قميصه وهو ما كان فعلاً.

ولكن ليست النهاية هنا، لقد جمعت نسوة من المدينة وهيأت الظروف كأنها أرادت أن تبرر لنفسها ما قامت به أمام هؤلاء النسوة، وعاد الاختبار ثانية ليوسف، ولكنه اختبار عظيم إنها أكثر من دعوة تدعوه لمعصية الله، انه الشيطان يستخدم كل ما لديه من حيل ليوقع بيوسف ولكن ما هو ردّ نبي الله، إنّه بصراحة ووضوح (السجن أحب إليّ).

الدروس المستفادة من هذه القصة

رأى برهان ربه فقال: معاذ الله

ذكر العلامة الطباطبائي في تفسيره الميزان أن المراد من برهان ربه: (نوع من العلم المكشوف واليقين المشهود تطيعه النفس الإنسانية طاعة لا تميل معها إلى معصية أصلا)[1].

إن الكثير من الناس يعرف أن هذا الفعل معصية وانه يحرم عليه ارتكاب المعصية ولكنه مع ذلك يقدم عليها، وهذا ما ورد فيه قوله تعالى **﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَـٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾**[2]، ولكن من الناس من يعرف المعصية ولا يقدم عليها لأن علمه يختلف عن علم ذاك، انه العلم الذي يشكل رادعا له عن ارتكاب المعصية أو حتى التفكير بها.

أما كيف يصل الإنسان إلى هذا العلم، يصل إليه من خلال تربية النفس، وهو ما ورد عن رسوله الله ﷺ انه الجهاد الأكبر.

---

(١) الطباطبائي. محمد حسين. الميزان في تفسير القرآن، ج١١، ص ١٢٩.

(٢) الجاثية:٢٣.

فالإنسان المربي لنفسه والذي تمكن من الانتصار عليها هو الذي يستطيع أن يقول معاذ الله، متى كان في موقف كموقف يوسف.

وأما كيف يمكن للإنسان أن يربي هذه النفس فهذا ما ذكره علماء الأخلاق، ومما ذكروه إن هذه التقوى تحصل من الالتزام بأوامر الله عز وجل ونواهيه.

السجن أحبّ إلي

كل إنسان معرض في هذه الدنيا أن يقف في لحظة ما وفي موقع ما بين خيارين: الآخرة والدنيا، فهو إما أن يختار الآخرة وهذا قد يعني أن يتحمل العذاب والحرمان في هذه الدنيا، أو أن يختار الدنيا وفي هذا خسارة الآخرة.

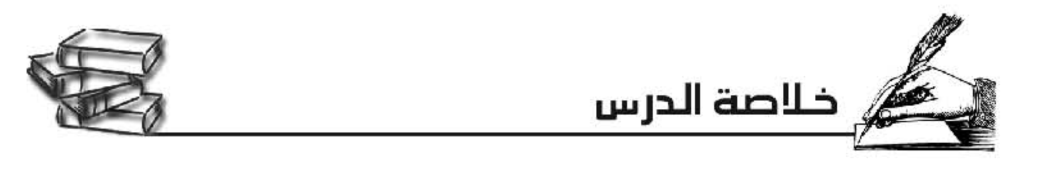
وقد ورد عن رسول الله ﷺ: «من كانت الآخرة همه جمع الله شمله وجعل غناه بين عينيه وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه فرق الله شمله وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب الله».

ولكن اختيار الإنسان للآخرة على الدنيا لا يكون على حد واحد، فمن الناس من يختار الآخرة ولكنه يختارها وهو فعلاً محب لهذه الدنيا، أي وهو يعيش حالة من الأسف على هذه الدنيا. ولكن العارف الحقيقي الذي وصل إلى اليقين في قلبه بأن هذه الدنيا مصيرها الفناء والزوال وأن الآخرة هي الحياة الدائمة السرمدية فإن موقفه سوف يكون موقف يوسف عليه السلام الذي تلخصه جملة واحدة قالها عليه السلام: «السجن أحب إلي»، أي ليست المسألة اختيار وتفضيل فقط. بل هذا العذاب الدنيوي أحب إليه من أن يقع في العذاب الأخروي ومعصية الله عز وجل.

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «إذا أردت أن تعلم أن فيك خيراً فانظر إلى قلبك، فإن كان يحب أهل طاعة الله ويبغض أهل معصيته ففيك خير، والله يحبك، وإن كان يبغض أهل طاعة الله ويحب أهل معصيته فليس فيك خير، والله يبغضك، والمرء مع من أحب»[1].

(١) الكليني، الكافي، ج٢، ص١٢٦.

وقـد تجلى موقف يوسف هذا (اختيار الآخـرة على الدنيا) في موقف الحر بن يزيد الرياحي في معركة كربلاء حيث قال: إني والله أخير نفسي بين الجنة والنار، ووالله لا اختار على الجنة شيئاً ولو قطعت وحرقت».



خلاصة الدرس

١. إن الرادع الحقيقي عن المعصية ليس هو مجرد العلم بكون الفعل معصية بل هو الإيمان القلبي والتقوى.

٢. إن اليقين والإيمان لا يحصل لهذا الإنسان إلا عبر جهاد النفس وتربيتها على مخالفة الهوى.

٣. تربية النفس هي التي تجعل الإنسان صاحب إرادة حقيقية في اختيار الآخرة علـى الدنيا، وان ترتب على ذلـك التعب والحرمان في الدنيـا، وذلك انطلاقاً من كون الدنيا مصيرها الزوال لا البقاء وكون الآخرة هي الحياة الأبدية.



أسئلة حول الدرس

١ – لماذا رفض يوسف عليه السلام طلب امرأة العزيز؟

٢ – كيف يمكن أن يصل الإنسان إلى مرتبة يواجه من خلالها هذه التحديات؟

٣ – هـل كانـت طاعة يوسف مـع التأسف على مـا فاته من الدنيـا، أم مع حبّه لذلك؟ استدل من القرآن الكريم.





ذُكرت وجوه لتفسير قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ**﴾، نذكر هنا وجهين منها:

١ - إن امرأة العزيز كانت تريد أن تقضي وطرا مع يوسف، وبذلت وسعها في ذلك، وكاد يوسف يستجيب لرغبتها بطبيعة كونه بشرا شابا لم يتزوج ويرى نفسه إزاء المثيرات الجنسية وجها لوجه... لولا أن رأى برهان الله... أي روح الإيمان والتقوى وتربية النفس، أضف إلى كل ذلك مقام العصمة الذي كان حائلاً دون هذا العمل! فعلى هذا يكون الفرق بين معاني «همّ» أي القصد من امرأة العزيز، والقصد من قبل يوسف، هو أن يوسف كان يتوقف قصده على شرط لم يتحقق، أي (عدم وجود برهان ربه) ولكن القصد من امرأة العزيز كان مطلقاً، ولأنها لم يكن لديها مثل هذا المقام من التقوى والعفة، فإنها صمّمت على هذا القصد حتى آخر مرحلة، وإلى أن اصطدمت جبهتها بالصخرة الصماء!

الطريف أن التفسير الأول نقل عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في عبارة موجزة جداً وقصيرة، حيث يسأله المأمون«الخليفة العباسي»قائلاً: ألا تقولون إن الأنبياء معصومون؟ فقال الإمام:«بلى». فقال: فما تفسير هذه الآية ﴿**وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ**﴾؟ فقال الإمام عليه السلام :«لقد همت به، ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها كما همت، لكنه كان معصوماً والمعصوم لا يهم بذنب ولا يأتيه»فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن.

٢ - إن تصميم كل من امرأة العزيز ويوسف لا علاقة له بالوطر الجنسي، بل كان تصميما على ضرب أحدهما الآخر.. فتصميم امرأة العزيز على هذا العمل كان لعدم انتصارها في عشقها وبروز روح الانتقام فيها ثأراً لهذا العشق. وتصميم

يوسف كان دفاعاً عن نفسه، وعدم التسليم لطلب تلك المرأة.

الأمثـل فـي تفسير كتاب الله المنزل – الشيخ ناصر مكارم الشيرازي – ج ٧ ص ١٨٢ (بتصرف).



للحفظ



راودته: المراودة: طلب الأمر برفق ولين.

وغلّقت: التغليق: إطباق الباب بنحو لا يتيسر فتحه.

هيت: أقبل.

وقدّت: شقته طولا.

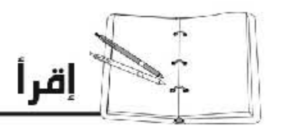
وألفيا: وجدا.

شغفها: شغل باطنها.

وأعتدت: أعدّت.

متكأ: ما يعتمد عليه عند الجلوس.

فاستعصم: امتنع.



إقرأ



تفسير القمي

تفسير القمي لأبي الحسن علي بن إبراهيم القمي رحمه الله (من أعلام قرني ٣-٤ هـ).

هو من أقدم التفاسير التي كشفت القناع عن الآيات النازلة في أهل البيت عليهم السلام ، يقول المقدم للكتاب:

لا ريب في أن هذا التفسير الذي بين أيدينا من أقدم التفاسير التي وصلت إلينا ولولا هذا لما كان متناً متيناً في هذا الفن ولما سكن إليه جهابذة الزمن...

ومن ميزات هذا التفسير:

(١) أن هذا التفسير أصل أصول للتفاسير الكثيرة كما تقدم.

(٢) أن رواياته مروية عن الصادقين عليهما السلام مع قلة الوسائط والإسناد، ولهذا قال في الذريعة: انه في الحقيقة تفسير الصادقين عليهما السلام.

(٣) مؤلفه كان في زمن الإمام العسكري عليه السلام.

(٤) أبوه الذي روى هذه الأخبار لابنه كان صحابيا للإمام الرضا عليه السلام.

(٥) أن فيه علما جما من فضائل أهل البيت عليهم السلام التي سعى أعداؤهم لإخراجها من القرآن الكريم.

(٦) أنه متكفل لبيان كثير من الآيات القرآنية التي لم يفهم مرادها تماما إلا بمعونة ارشاد أهل البيت عليهم السلام التالين للقرآن.

الدرس التاسع

رحمة ترفع عذاباً

﴿فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ آمَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ * وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١).

القصة

لما أيس يونس عليه السلام من إيمان قومه دعا ربه عليهم فقال: يا رب! إن قومي أبوا إلا الكفر فأنزل عليهم نقمتك فأوحى الله عز وجل اليه: إني أنزل بقومك العذاب. قال: فخرج عنهم يونس وأوعدهم العذاب بعد ثلاثة أيام، وأخرج أهله، فانطلق حتى خرج عنهم. فصعد جبلاً ينظر إلى أهل «نينوى» ويترقب العذاب. وبعث الله عز وجل جبريل، فقال: انطلق إلى مالك خازن النار فقل له يخرج من سموم جهنم على قدر مثقال شعيرة، ثم انطلق به فأحط به أهل مدينة «نينوى». قال: فانطلق جبريل ففعل ما أمره ربه عز وجل. وعاين قوم يونس العذاب لما هبط للوقت الذي وقت لهم يونس. ويُقال: إن العذاب لما هبط على قوم يونس فجعل يحوم على رؤوسهم

(١) سورة يونس ٩٨.

مثل قطع الليل المظلم. فلما استيقنوا بالعذاب سقط في أيديهم وعلموا أن يونس قد صدقهم، فطلبوه فلم يقدروا عليه. فقالوا: نجتمع إلى الله ونتوب إليه. قال: فخرجوا إلى موضع يقال له: تل الرماد، وتل التوبة وإنما سمي: تل الرماد، لأنهم خرجوا جميعا الرجال والنساء والعواتق وأخرجوا معهم أنعامهم وبهائمهم، فميزوا بين المراضع وأولادها، والبهائم وأولادها، وجعلوا الرماد على رؤوسهم، ووضعوا الشوك من تحت أرجلهم، ولبسوا المسوح والصوف، ثم استجاروا بالله ورفعوا أصواتهم بالبكاء والدعاء. فعلم الله عز وجل منهم الصدق. فقالت الملائكة: يا رب! رحمتك وسعت كل شيء، فهؤلاء الأكابر من ولد آدم تعذبهم، فما بال الأصاغر والبهائم؟ فقال الله عز وجل: يا جبريل! ارفع عنهم العذاب، فقد قبلت توبتهم.

الدروس المستفادة من القصة

عذاب مرفوع

لم يكتب الله عز وجل على قوم العذاب إلا عذبهم، ولكن لهذه القاعدة استثناء وهو قوم يونس بن متى، فقد كشف الله عنهم العذاب، وأما السبب في هذا الاستثناء فهو - كما دلّت عليه الآية الكريمة - التوبة، وهذا السبب لا يختص بقوم يونس ولكنهم هم وحدهم الذين أمكنهم تدارك الأمر. وذلك بتوبتهم مما كانوا فيه.

فالتوبة هي سبب رئيسي في نجاة هذا الإنسان من العذاب الإلهي، ولكنها لا بد وان تكون توبة صادقة، وقد ورد في العديد من الروايات صفات لهذه التوبة الصادقة، ومن أهمها أن لا تكون هذه التوبة من الإنسان كتوبة فرعون حيث تاب لما أدركه الغرق، وقد ورد عن رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر[1]»[2]

ومن هذه الصفات ما ورد عن الإمام علي عليه السلام ببيان رائع: «غرسوا أشجار

(١) الغرغرة هي وصول النفس إلى الحلق وترددها فيه كما يتردد الماء في الحلق.

(٢) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٦، ص ١٩.

ذنوبهم نصب عيونهم وقلوبهم وسقوها بمياه الندم، فأثمرت لهم السلامة، وأعقبتهم الرضا والكرامة»[1].

وما يترتب على التوبة الصادقة ليس هو مجرد الخلاص من العذاب الإلهي بل انه النعمة الالهية، ولذا ورد في قصة قوم يونس ﴿وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾، فقد أنعم الله عليهم بعد عذاب، وقد ورد عن الإمام علي عليه السلام: «من أخذ بالتقوى عزبت عنه الشدائد بعد دنوها... وهطلت عليه الكرامة بعد قحوطها، وتحدبت (نزلت) عليه الرحمة بعد نفورها، وتفجرت عليه النعم بعد نضوبها (ذهابها)، ووبلت عليه (المطر الشديد) البركة بعد إرذاذها (من الرذاذ وهو المطر الضعيف)».

اللهم إني أسألك موجبات رحمتك

وصف الله عز وجل نفسه في كتابه الكريم بأنه أرحم الراحمين، ونحن عندما نصف الكامل المتعال بصفة الرحمة فإن من الخطأ أن نقيسها بما نشاهده من الرحمة بين الناس.

وقد ورد وصف الرحمة الإلهية في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله تعالى خلق مائة رحمة يوم خلق السماوات والأرض كل رحمة منها طباق ما بين السماء والأرض، فأهبط رحمة منها إلى الأرض فبها تراحم الخلق، وبها تعطف الوالدة على ولدها، وبها تشرب الطير والوحوش من الماء، وبها تعيش الخلائق»[2].

وبملاحظة هذا نعرف أن على الإنسان أن لا يصل إطلاقاً إلى حالة اليأس من الرحمة الإلهية، فإن العذاب حتى لو كان مكتوبا على قوم كقوم يونس ولكنهم تداركوا العذاب بالتوبة فإن الله سوف يتوب عليهم. بل عدّ العلماء اليأس من رحمة الله من الذنوب الكبيرة ويذكر بعض العلماء إن فلسفة ذلك ترجع إلى أن العاصي الآيس من رحمة الله لا يرى شيئاً ينقذه ويخلصه من عذاب الله، فلا يفكر بإصلاح الخلل، أو يكف عن الذنب على الأقل لأنه يقول في نفسه: أنا الغريق فهل أخشى من

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ٧٢.

(٢) الريشهري، ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٠٤٨.

البلل ؟ والنهاية الحتمية جهنم، وقد اشتريتها، فما عساي أن أفعل ؟

ولكن لكل شيء سببه الخاص به ولذا ورد في الدعاء«اللهم إني أسألك موجبات رحمتك» فما هي موجبات الرحمة الإلهية؟ ورد في الروايات إن التوبة الصادقة هي من أهم موجبات الرحمة الإلهية، ولكن مضافاً إلى التوبة. وكما هو المستفاد أيضاً من قصة قوم يونس. لا بد وان تجتمع بعض الأمور الأخرى وهي التالية:

الدعاء:

ورد فـي الروايات عن قصة قـوم يونس أنهم عمدوا إلى الخروج بأعظم مظاهر الذل لله وإظهار الفقر والحاجة والانكسار إليه فقد خرجوا إلى الصعيد بأنفسهم، ونسائهم، وصبيانهم، ودوابهم، ولبسوا المسوح، وأظهروا الإيمان والتوبة، وأخلصوا النيـة، وفرقوا بين كل والـدة وولدها من الناس والأنعام، فحـن بعضها إلى بعض، وعلت أصواتها، واختلطت أصواتها بأصواتهم.

وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:» بذكر الله تستنزل الرحمة».

رد المظالم:

عندما يتجاوز الإنسان عما أمره الله به أو نهاه عنه، فإنه كما يعتدي على الحقوق الإلهيـة يعتدي في كثير من الأحيان على حقوق الناس، ولكي يصل الإنسان الظالم لمقـام الرحمة الإلهية لا بد لـه أولاً من أن يخرج نفسه مـن أن تكون مدينة للناس بالحقـوق، وهذا ما ورد فـي قصة قوم يونس أنه بلغ من توبتهـم أن يردُّوا المظالم بينهم حتى كان الرجل ليأتي الحجر، وقد وضع عليه أساس بنيانه فيقتلعه ويرده.

وقد قال تعالى في كتابه الكريم **﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾**[1]. فلم تكتفِ الآية بأنه تاب بل لا بد وأن يصلح.

(١) الأنعام: ٥٤.

وفـي ذلك يقول الإمام الخميني في كتابـه (الأربعون حديثا): «إن على الإنسان التائـب أن يـردّ كل ما أخذه من الناس من دون حق إلـى أصحابه وإذا وجد حقوقاً أخـرى للناس في ذمته واستطاع أن يؤديها إلى أصحابهـا أو يطلب السماح منهم، يجب أن لا يتوانى في ذلك»[1]

كن رحيما تنل الرحمة:

ورد في الكثير من الروايات أن على المؤمن أن يتخلق بهذا الخلق الإلهي، وذكرت بعض الروايات أن صفة الرحمة الإلهية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالتخلق بها، فقد ورد في الرواية عن الإمام علي عليه السلام: «من لم يرحم الناس منعه الله رحمته»[2].



خلاصة الدرس



١. إن الرحمـة الإلهية لا تقدر بقدر، وان علـى الناس عدم اليأس من رحمة الله حتـى اللحظات الأخيرة من حياتهم في هذه الدنيـا. لان قوم يونس رفع الله عنهم العذاب بعد أن كتبه عليهم.

٢. إن التوبـة الصادقة هي من أهم عوامل نزول الرحمة الإلهية، وما يترتب على التوبة الصادقة، مضافاً إلى انكشاف العذاب، نزول النعم الإلهية.

٣.ورد فـي الدعـاء: اللهم إني أسألك موجبات رحمتـك، وموجبات الرحمة هي كثيرة منها: الدعاء مع التذلل والانكسار، رد المظالم والحقوق إلى الناس، الرحمة للناس.

---

(١) الإمام الخميني، الأربعون حديثا، ص٢٦٢. الحديث السابع عشر.

(٢) الريشهري، ميزان الحكمة، ج ٢، ص١٠٥١.




أسئلة حول الدرس

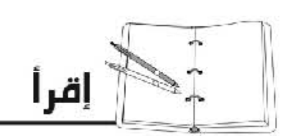
١ – من هم القوم الذين رفع الله عنهم العذاب بعد أن كتب عليهم ؟ ولماذا ؟
٢ – ما هي موجبات التوبة ؟
٣ – من الذي يستحق المنع من الرحمة الإلهية؟




للمطالعة

إن أمير المؤمنين عليه السلام صعد المنبر بالكوفة فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس! إن الذنوب ثلاثة، ثم أمسك، فقال له حبة العرني: يا أمير المؤمنين فسرها لي، فقال: ما ذكرتها إلا وأنا أريد أن أفسرها، ولكنه عرض لي بهر[1] حال بيني وبين الكلام، نعم الذنوب ثلاثة: فذنب مغفور، وذنب غير مغفور، وذنب نرجو لصاحبه ونخاف عليه. قيل: يا أمير المؤمنين فبينها لنا، قال: نعم، أما الذنب المغفور فعبد عاقبه الله تعالى على ذنبه في الدنيا فالله أحكم وأكرم أن يعاقب عبده مرتين. وأما الذنب الذي لا يغفر فظلم العباد بعضهم لبعض، إن الله تبارك وتعالى إذا برز لخلقه أقسم قسما على نفسه فقال: وعزتي وجلالي لا يجوزني ظلم ظالم ولو كف بكف، ولو مسحة بكف، ونطحة ما بين الشاة القرناء إلى الشاة الجماء، فيقتص الله للعباد بعضهم من بعض، حتى لا يبقى لأحد عند أحد مظلمة، ثم يبعثهم الله إلى الحساب. وأما الذنب الثالث فذنب ستره الله على عبده و رزقه التوبة فأصبح خاشعا من ذنبه، راجيا لربه، فنحن له كما هو لنفسه نرجو له الرحمة ونخاف عليه العقاب.

(١) بهر بالضم: انقطاع النفس من الاعياء. وما يعتري الانسان عند السعي الشديد و العدو من التهيج وتتابع النفس.



إقرأ



تفسير نور الثقلين

كتاب تفسير نور الثقلين لمؤلفه المحدث الجليل العلامة الخبير الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي قدس سره

يقول عن الكتاب آية الله السيد محمد حسين الطباطبائي قدس سره :

ومن أحسن ما جمعته أزمنة المجاهدة بعواملها وخطته أيدي التحقيق بأناملها في هذا الشأن – أو هو أحسنه – هو كتاب نور الثقلين لشيخنا الفقيه المحدث البارع الشيخ عبد علي الحويزي ثم الشيرازي قدس الله نفسه وروح رمسه الذي جاد به عصر أساطين الحديث وجهابذة الرواية وهو النصف الأخير من القرن الحادي عشر من الهجرة تقريبا الذي سمح بمثل مولانا المجلسي صاحب البحار ومولانا الفيض صاحب الوافي وشيخنا الحر العاملي صاحب الوسائل وسيدنا السيد هاشم البحراني صاحب البرهان رضوان الله عليهم أجمعين، ولعمري إنه الكتاب القيم الذي جمع فيه مؤلفه شتات الأخبار الواردة في تفسير آيات الكتاب العزيز وأودع عامة الأحاديث المأثورة عن أهل بيت العصمة والطهارة سلام الله عليهم الا ما شذ منها، ولقد أجاد في ضبطها وترتيبها والإشارة إلى مصادرها والجوامع المنقولة هي عنها، وبذل جهدا في تهذيبها وتنقيحها جزاه الله عن العلم وأهله خيرا وهدانا بنور الثقلين وأحيا قلوبنا بالعلم واليقين آمين.

كتاب قيّم يقع في خمسة أجزاء من القطع الكبير.

الدرس العاشر

قرين السوء

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * أُوْلَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ * فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ * يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِن مَّعِينٍ * بَيْضَاء لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ * لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ * وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ * فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ * قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ * يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ * أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ * قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ * فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاء الْجَحِيمِ * قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدتَّ لَتُرْدِينِ * وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ * أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ * إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُونَ﴾ (١).

قصة الآية

الآية الكريمة تتحدث عما سيحدث في يوم القيامة من حوار يدور بين أهل الجنة، ومن ثم يدخل في الحوار طرف ثالث وهو القرين أي الصاحب، وقد ذكر المفسرون

---

(١) سورة الصافات: ٤٠-٦١.

أن هذا الشخص وقرينه هما عبارة عن صديقين كان لكل واحد منهما ثروة كبيرة وكان أحدهما ممن ينفق في سبيل الله وأما الآخر فلم يكن يؤمن بالآخرة، فكان لا ينفق من ماله شيئاً، وبعد مدّة أصيب صاحب الصدقات بالفقر فأخذ صديقه المنكر للمعاد يسخر منه، واللقاء الثاني بينهما كان في ما تحكي عنه الآية فبعد قيام القيامة، يجلس عباد الله المخلصون الذين استعرضت الآيات السابقة النعم المادية والمعنوية التي أغدقت عليهم، كالفاكهة، والحور، والأصدقاء الطيبين الذين يجالسونهم، وفجأة خطر في ذهن أحدهم أمر، فالتفت إلى أصحابه قائلاً: لقد كان لي صديق في الدنيا، ومع الأسف، فإنه انحرف عن الطريق الصحيح، وصار منكراً ليوم البعث، وكان دائما يقول لي: هل أننا إذا متنا وكنا تراباً وعظاماً نحيا مرة أخرى، لنساق إلى الحساب، والجزاء على ما اقترفناه من أعمال ؟ إن هذا مما لا ينبغي أن يصدق.

وهنا يخاطب من كان يتحدث معهم من أهل الجنة، بالقول: ليتني أعرف أين هو الآن ؟ وأثناء بحثه عن قرينه وصديقه ينظر إلى جهنم، ويرى فجأة صديقه وسط جهنم فاطلع فرآه في سواء الجحيم، فيخاطبه قائلا: أقسم بالله لقد كدت أن تهلكني وتسقطني في ما سقطت فيه. لقد أوشكت أن تؤثر على صفاء قلبي بوساوسك، وأن تزج بي في الخط المنحرف الذي كنت فيه، فلولا لطف الله الذي منعني من ذلك ونعمته التي سارعت لمساعدتي، لكنت اليوم من المحضرين للعذاب مثلك في نار جهنم.

الدروس المستفادة من هذه القصة:

التأثر بالأصدقاء

خلق الله هذا الإنسان ووهبه هذا العقل الذي يعرف به مصالحه فيتبعها، كما

جعله اجتماعياً بطبعه، فلا يمكنه أن يعيش إلا ضمن جماعة من الناس، يخالطهم ويعاشرهم، يفيدهم ويستفيد منهم. والأهم من ذلك انه يؤثر ويتأثر بهم. فإذا كانوا صالحين مهتدين كان ذلك مؤثراً ومساعداً على هدايته وصلاحه، وأما إذا كانوا فاسدين ومفسدين فإنّ ذلك سيشكل حافزاً ووسوسة إضافية تدفع الإنسان نحو الضلالة وخسران الآخرة.

هذا التأثير المتبادل بين الأصدقاء هو ما نلاحظه في حياتنا اليومية وهو ما أكّدت عليه الروايات، فقد ورد عن سليمان النبي عليه السلام: «لا تحكموا على رجل بشيء حتى تنظروا إلى من يصاحب، فإنما يعرف الرجل بأشكاله وأقرانه»[1].

كما ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام بيان مواصفات الصديق الذي ينبغي مصادقته، والآخر الذي ينبغي الابتعاد عنه.

لا تصاحب من سوف تندم على صحبته

لكل منا صاحب، فلنتأمل قليلا، هل سيأتي يوم أندم فيه على هذه الصحبة والعلاقة مع هذا الصديق؟ هل سأكون مصداقا لقول الله تعالى: ﴿ **يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا** ﴾[2] فإذا كان كذلك فعلاً فلأدعه الآن، ولأذهب حيث لا ندامة.

وقد يرى بعض الناس إن صحبته لبعض الناس واتخاذهم أصدقاء يترتب عليه فوائد دنيوية كثيرة وأنه يتمكن من تحصيل بعض فرص الربح أو التنعم معهم ببعض نعيم هذه الدنيا، ويرى من نفسه القدرة على الابتعاد عما يقعون فيه من الضلال، لأنه يظن من نفسه أنها محصنة قوية لا تتزلزل، ولكن أمير المؤمنين يحذر من ذلك أيضاً: «صحبة الأشرار تكسب الشر، كالريح إذا مرت بالنتن حملت نتنا»[3].

---

(١) الريشهري، ميزان الحكمة، ج٢، ص١٥٨٢.

(٢) الفرقان:٢٨-٢٩.

(٣) الريشهري، ميزان الحكمة، ج٢، ص ١٥٦٨.

فلن يسلم من يصاحب الأشرار مهما كانت نفسه محصنة ومهما جهد في تربيتها من أن يقع في هذا المحذور.

صاحب من تفتخر بصحبته

في الجهة المقابلة، إذا أردت أن تعرف صدق صحبتك فعليك أن تنظر إلى نفسك فتتأمل، هل ستخجل إن سُئلت عن فلان من أن تقول انه صاحبك؟ أو أنك سوف تعتز بصحبته وتفخر؟ فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «اصحب من تتزين به، ولا تصحب من يتزين بك»[1].

وعن الإمام علي عليه السلام: «عجبت لمن يرغب في التكثر من الأصحاب كيف لا يصحب العلماء الألباء الأتقياء الذين يغنم فضائلهم، وتهديه علومهم، وتزينه صحبتهم»[2].

ساحة الاختبار

قد يقع الكثير من الناس في مشكلة عدم وفاء الأصدقاء له، وقد كان يحسن الظن بهم كثيراً، ويظهر لهم المودة والمحبة، ولكنه يجد أنهم ليسوا كما توقعهم وليسوا كما يأمل منهم، ولذا ورد عن أهل البيت عليهم السلام بيان المواضع التي يمكن من خلالها اختبار الأصدقاء وهي في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «لاتسم الرجل صديقاً سمة معرفة حتى تختبره بثلاث:...»[3] وهذه الأمور الثلاثة سنذكرها كعناوين مع شرحها في ما يلي:

أولا: تغضبه فتنظر يخرجه من الحق إلى الباطل:

لا يمكن التعرف على الطبع الحقيقي لهذا الإنسان إلا من خلال ملاحظة الموقف الذي يتخذه عند الغضب. هل يؤدي به ذلك إلى أن يخرج من طاعة الله

---

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧٣، ص٢٦٧.

(٢) الريشهري، ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٥٨٤.

(٣) الريشهري، ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٥٨٣.

إلى معصية الله فيظلم الناس أو يعتدي عليهم، وقد تكون أنت من يظلمه أو يعتدي عليه، ولذا ورد في رواية أخرى بيان هذا المعنى فعن الإمام الصادق عليه السلام : إذا أردت أن تعلم صحة ما عند أخيك فأغضبه، فإن ثبت لك على المودة فهو أخوك وإلا فلا[1].

ثانيا: وعند الدينار والدرهم:

إنها مواطن الحاجة، وكلنا مُعرّض لأن يحتاج إلى صديقه، فقد يفتقر الإنسان أو تدعوه الحاجة لأن يستدين مالا من صديقه فهنا لحظة الاختبار، هل سيعينك على هذا الأمر؟ هل سيستجيب لك؟ أو أن الصداقة تنتهي عند أول طلب.

وقد ورد وصف مثل هذا الشخص في الرواية بأنه بئس الإخوان؛ فعن الإمام الباقر عليه السلام : «بئس الأخ أخ يرعاك غنيا ويقطعك فقيرا»[2].

وفي رواية أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام :«الإخوان ثلاثة: مواس بنفسه، وآخر مواس بماله، وهما الصادقان في الإخاء، وآخر يأخذ منك البلغة، ويريدك لبعض اللذة، فلا تعده من أهل الثقة»[3].

ثالثا: وحتى تسافر معه:

فعند السفر تظهر أخلاق الشخص ومدى قدرته على التحمل ورعايته للصحبة.

والصفات التي يحددها رسول الله صلى الله عليه وآله لاختبار الاخ في السفر هي:»بذل الزاد، وحسن الخلق، والمزاح في غير المعاصي»[4].

---

(١) الريشهري، ميزان الحكمة، ج ٧٥، ص ٢٣٩.

(٢) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٦، ص٢٨٧.

(٣) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ٢٣٩.

(٤) المحدّث النوري، مستدرك الوسائل، ج ٨، ص٢٢٤.




خلاصة الدرس

١. الإنسـان خلق بطبعه اجتماعياً، لا يمكنه أن يعيش وحده، بل إنه يحب ويرغب في اتخاذ الإخوان، وعليه أن يحسن اختيارهم.

٢. لا تصاحب من سوف تندم على صحبته في الدنيا أو في الآخرة، وصاحب من تفخر بصحبته.

٣. اختبار الصحبة الصادقة في مواطن ثلاثة: الغضب، الحاجة، السفر.




أسئلة حول الدرس

١ – بيّن أهمية الصديق وتأثيره على صديقه.

٢ – ما هو المعيار في اختيار الأصدقاء؟

٣ – ما هي ساحات اختبار الأصدقاء؟



للمطالعة

عن الإمام الحسن عليه السلام: أيها الناس أنا أخبركم عن أخ لي، كان من أعظم الناس في عيني، وكان رأس ما عظم به في عيني صغر الدنيا في عينه، كان خارجا من سلطان بطنه، فلا يشتهي ما لا يجد، ولا يكثر إذا وجد، كان خارجا من سلطان فرجه، فلا يستخف له عقله ولا رأيه، كان خارجا من سلطان الجهالة، فلا يمد يده

إلا علـى ثقـة لمنفعة. كان لا يتشهى ولا يتسخط ولا يتبـرم، كان أكثر دهره صماتا، فإذا قال بذّ القائلين، كان لا يدخل في مراء، ولا يشارك في دعوى، ولا يدلي بحجة حتـى يـرى قاضيـا، وكان لا يغفل عن إخوانـه ولا يخص نفسه بشـيء دونهم، كان ضعيفـا مستضعفـا، فـإذا جاء الجد كان ليثـا عاديا. كان لا يلوم أحـدا في ما يقع العـذر فـي مثله حتـى يرى اعتذارا، كان يفعـل ما يقول ويفعل ما لا يقـول، كان إذا ابتزه أمران لا يدري أيهما أفضل، نظر إلى أقربهما إلى الهوى فخالفه. كان لا يشكو وجعـا إلا عند من يرجو عنده البرء، ولا يستشير إلا من يرجو عنده النصيحة، كان لا يتبـرم ولا يتسخط ولا يتشكى، ولا يتشهـى، ولا ينتقم ولا يغفل عن العدو. فعليكم بمثـل هذه الأخلاق الكريمة، إن أطقتموها، فإن لم تطيقوها كلها فأخذ القليل خير من ترك الكثير.



للحفظ



الغول: الفساد.

ينزفون: يطردون.

قاصرات الطرف: نظرهن نظرة الغنج والدلال.

مكنون: مخزون.

القرين: الصاحب.

سواء الجحيم: وسط الجحيم.

أردى فلانا: أسقطه.

اطلع إلى كذا: إذا أشرف عليه.




إقرأ

تفسير كنز الدقائق

تفسير كنز الدقائق للمفسر الكبير الميرزا محمد المشهدي ابن محمد رضا بن إسماعيل بن جمال الدين القمي المتوفى حدود عام ١١٢٥ هـ.

قال المقدم للكتاب:

أما تفسيرنا الحاضر فهو حصيلة ما سبقه من أمهات تفاسير أصحابنا الإمامية، جمع فيه من لباب البيان وعباب التعبير أينما وجده طي الكتب السالفة. فقد اختار حسن تعبير أبي سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي في تفسيره " أنوار التنزيل وأسرار التأويل " كما فعله أستاذه وشيخه المقدم – المولى الفيض الكاشاني في الصافي – من قبل. كما انتخب من أسلوب الطبرسي في المجمع ترتيبه وتبويبه، مضيفا إليه ما استحسنه من كشاف الزمخشري وحواشي العلامة الشيخ البهائي، كما صرح هو في مقدمة تفسيره. فصار تأليفه مجموعة خير الأقوال وأحسن الآثار، حسبما جاء في تقريظ العلمين " المجلسي والخوانساري " على الكتاب... هذا التفسير جامع كامل وكاف شاف، يغني عناء مراجعة كثير من التفاسير المعتبرة بعد هذا الغناء والكفاية.

يقع في مجلدين من القطع الكبير

الدرس الحادي عشر

الحسد

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ * فَبَعَثَ اللّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ * مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ (١)

القصة

ذكروا في بيان قصة الآية أن حواء امرأة آدم، كانت تلد في كل بطن غلاماً

(١) المائدة: ٢٧-٣٢.

وجاريــة، فولدت أول بطن قابيــل بن آدم، وتوأمته إقليما بنــت آدم، والبطن الثاني هـابيــل، وتوأمته لبوذا. فلمــا أدركوا جميعاً، أمر الله تعالى أن ينكح آدم قابيل أخت هـابيــل، وهـابيل أخت قابيل، فرضي هـابيل، وأبــى قابيل، لأن أخته كانت أحسنهما، وقال: ما أمر الله سبحانه بهذا، ولكن هذا من رأيك. فأمرهما آدم أن يقربا قرباناً فرضيا بذلك. فغــدا هـابيل، وكان صاحب ماشية، فأخذ من خير غنمه زبداً ولبناً، وكان قابيــل صاحــب زرع، فأخذ من شر زرعــه، ثم صعدا فوضعــا القربانين على الجبــل، فأتت النار، فأكلت قربــان هـابيل، وتجنبت قربان قابيــل، وكان آدم غائباً عنهمــا بمكــة، خرج إليها ليزور البيت بأمر ربه. فقــال قابيل: لا عشت يا هـابيل في الدنيا، وقد تقبل قربانك، ولم يتقبل قرباني، وتريد أن تأخذ أختي الحسناء، وآخذ أختــك القبيحة! فقال له هـابيل: ما حكاه الله تعالى...، فشدخه بحجر فقتله، روي ذلــك عن أبــي جعفر الباقــر عليه السلام، وذكره المفســرون. وكان سبــب قبول قربان أحدهمــا دون الآخر أن قابيل لــم يكن زاكي القلب، وقرب بشر ماله وأخسه، وقرب هـابيــل بخير مالــه وأشرفه، وأضمر الرضا بحكم الله تعالــى، فكانت تنزل نار من السماء فتأكله.

الدروس المستفادة من القصة

حالق الدين

قصــة ابنــي آدم هي قصــة أول حادثة قتل علــى وجه الأرض، وهــذا ما يدفعنا إلــى التساؤل عن السبــب في وقوع حادثة القتل هذه، ويحكي لنا القرآن الكريم عن السبب ألا وهو الحسد.

والحسد: هو تمني زوال النعمة عن صاحبها، لما يلحق من المشقة في نيله لها، وهو خلاف الغبطة، لان الغبطة تمني مثل تلك النعمة، لأجل السرور بها لصاحبها، ولهــذا صار الحسد مذمومــاً، والغبطة غير مذمومة. وقيــل: إن الحسد من إفراط

البخـل، لان البخل: منـع النعمة لمشقة بذلهـا، والحسد: تمني زوالهـا لمشقة نيل صاحبها.

وقد ورد في الرواية أروع وصف للنتائج التي تترتب على الحسد الذي قد يقع فيه الإنسـان، إنـه زوال دينه، وقد روي عن رسـول الله ﷺ: «ألا! إنه قد دب إليكم داء الأمم من قبلكم وهو الحسد، ليس بحالق الشعر، لكنه حالق الدين»[1].

مساوئ الحسد

١- ضياع الطاقات الاجتماعية والشخصية، وذلك لأن الحسود سوف يصرف كل طاقاته في سبيل هدم وتحطيم ما هو قائم، دون أن يصرف جهده في البناء وإقامة المشاريع المنتجة والمفيدة. وقد ورد عن الإمام علي عليه السلام: «ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من الحاسد، نفس دائم، وقلب هائم، وحزن لازم»[2].

فهـذه الصفات الثلاث إذا اجتمعت في شخص فهـل يتمكن من صرف طاقاته في طرق الخير، خير نفسه أو خير غيره؟

إنـه شخص يفتقد لمعنى الحياة لأنه سوف يفتقـد للشعور باللذة، ولذا ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «ليست لبخيل راحة، ولا لحسود لذة»[3].

٢- إن الحسد هو الدافع الأول في الجريمة، والمعصية والتعدي على حقوق الآخرين، فمضافـاً إلـى قصة ابنـي آدم، كان الحسد هو الدافع الأول لرفض إبليس السجود لآدم، وكان هو الدافع لأخوة يوسف للتخطيط للتخلص منه فألقوه في الجب.

٣- إن الحسـد يعد – من الناحية المعنوية – من علائم ضعف الشخصية وعقدة الحقارة، ومن دلائل الجهل وقصر النظر وقلة الإيمان، لأن الحاسد – في الحقيقة – يـرى نفسـه أعجز وأقل مـن أن يبلغ ما بلغـه المحسود من المكانـة أو أعلى من ذلـك، ولهذا يسعى الحاسد إلى أن يرجع المحسود إلى الوراء، هذا مضافاً إلى أنه

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧٠، ص٢٥٣.

(٢) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧٠، ص٢٥٦.

(٣) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٦٩، ص ١٩٣.

بعمله اعترض على حكمة الله سبحانه واهب جميع النعم وجميع المواهب، وعلى إعطائه سبحانه النعم إلى من تفضل بها عليه من الناس، ولهذا جاء في الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام «الحسد أصله من عمى القلب والجحود لفضل الله تعالى، وهما جناحان للكفر، وبالحسد وقع ابن آدم في حسرة الأبد، وهلك مهلكاً لا ينجو منه أبداً»(١).

إنما يتقبل الله من المتقين

واجه هابيل (المقتول) أخاه قابيل (القاتل) بالحقيقة، وهي أن السبب في قبول قربانه دونه هو انه قدّم ماله خالصاً طاهراً لله عز وجل، لم يكن في ماله شائبة من حرام أو غيره.

ولأهمية التقوى، ورد الحث في روايات أئمة أهل البيت عليهم السلام على الاهتمام بالتقوى أكثر من الاهتمام بنفس العمل، وفي رواية وردت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في وصيته لأبي ذر: «يا أبا ذر كن بالعمل بالتقوى أشد اهتماما منك بالعمل فإنه لا يقل عمل بالتقوى، وكيف يقل عمل يتقبل، يقول الله عز وجل: **﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾**»(٢).

فالذي يريده الله من الإنسان ليس هو هذا الأمر المادي، بل هو تلك النية الخالصة لله، وقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام، وقد سأله أحدهم ما علة الأضحية؟ فأجاب: «إنه يغفر لصاحبها عند أول قطرة تقطر من دمها إلى الأرض وليعلم الله تعالى من يتقيه بالغيب قال الله تعالى: **﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ﴾**، ثم قال: انظر كيف قبل الله قربان هابيل، ورد قربان قابيل»(٣).

---

(١) النراقي، محمد مهدي، جامع السعادات، ج ٢، ص ١٥١.

(٢) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٧، ص ٢٨٦.

(٣) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٧، ص ٢٧٦.

ويكفـي للتدبر في أثر التقـوى على حياة هذا الإنسان أن نتأمل في الآية الكريمة التي جعلت الخير موقوفاً على التقوى وأن الإيمان وحده لا يكفي، قال تعالى: **﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾**[1].



خلاصة الدرس

١. وصفت الروايات الحسد أنه حالق للدين، أي انه لا يبقي من دين الحاسد شيئاً.

٢. إن الحسد هو عبارة عن تمني زوال النعمة من الغير وهو يرجع إلى الإفراط في البخل، لان البخيل يبخل من ماله والحاسد من مال غيره.

٣. إن الحسد له مساوئ كثيرة منها: ضياع الطاقات الاجتماعية، ودفع الإنسان نحو الجريمة، وضعف الشخصية.

٤. التقوى هي شرط قبول الأعمال، ولذا ورد أن ما يصل إلى الله من الفعل إنما هو التقوى.



أسئلة حول الدرس

١ – ما هو «حالق الدين» ولماذا سمي بهذا الاسم؟

٢ – لماذا يُعتبر الحسد مضيّعاً للطاقات الاجتماعية؟

٣ – لماذا قبل الله تعالى قربان هابيل ولم يقبل قربان قابيل؟

---

(١) الأعراف: ٩٦.





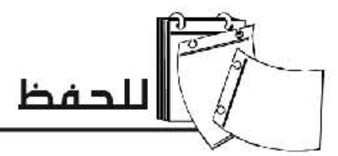
في بيان المعالجة العملية للحسد

العلاج العملي لهذه الرذيلة، بأن تتكلف إظهار المحبة للمحسود وترتب الأمور بحيث يكون هدفك هو معالجة مرضك الباطني، ان نفسك تدعوك لإيذائه واعتباره عدوا، وتكشف لك عن مساوئه ومفاسده، ولكن عليك ان تعمل خلافا لما تريده النفس، وان تترحم عليه وتحترمه وتجلّه. واحمل لسانك على أن يذكر محاسنه، وأعرض أعماله الصالحة على نفسك وعلى الآخرين، وتذكر صفاته الجميلة، صحيح أن هذا سوف يكون متكلفا في بادئ الأمر ومن باب المجاز دون الحقيقة ولكن بما أن الهدف هو إصلاح النفس وإزالة هذه المنقصة والرذيلة، فإن نفسك سوف تقترب في النهاية من الحقيقة ويخف تكلفك شيئا فشيئا، وترجع نفسك إلى حالها الطبيعي وتصبح ذات واقعية.

قل لنفسك على الأقل: إن هذا الإنسان عبد من عباد الله ولعل الله نظر إليه نظرة لطف فأنعم عليه بما أنعم، واختصه دون غيره بها.

الأربعون حديثا ـ الإمام الخميني ـ الحديث الخامس ـ ص١١٥.





اتل: اقرأ.

نبأ: خبر.

القربان: ما يتقرب به إلى الله.

فتقبل: القبول مع اهتمام وحرص.

بسطت: مددت.

تبوء: ترجع.

طوعت: شجعت.



إقرأ



التبيان في تفسير القرآن

التبيـــان في تفسير القرآن لشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي قدس الله نفسه الزكية (٣٨٥ - ٤٦٠هـ).

قال عن الكتاب إمام المفسرين أمين الإسلام الطبرسي في مقدمة كتابه الجليل (مجمع البيان في تفسير القرآن): انه الكتاب الذي يقتبس منه ضياء الحق، ويلوح عليه رواء الصدق، وقد تضمن من المعاني الأسرار البديعة، واحتضن من الألفاظ اللغــة الوسيعة، ولم يقنــع بتدوينها دون تبيينهــا ولا بتنسيقهــا دون تحقيقها. وهو القدوة أستضيء بأنواره، وأطأ مواقع آثاره.

تفسير قيّم جداً يقع في عشرة أجزاء من الحجم الكبير.

الدرس الثاني عشر

الإيمان واليقين

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

القصة

الآيـة تتحدث عن قصة نبي من الأنبياء والأشهر انه (العزير)، وقد خرج النبي فوصـل إلى بلـدة ورد في الروايات أنها بيت المقدس، وورد في روايات أخرى أنها القريـة التـي خرج منها الألوف حذر الموت، فقال لهـم الله موتوا. وقد تعجب هذا النبي من أن أهل هذه القرية كيف يعودون إلى الحياة ثانية، فأماته الله، وبعثه بعد مائـة عام، ولم يشعر ذلـك الرجل بأنه مات لمائة عام. ولكـن الله أخبره بما لبث وأراه أن طعامــه الذي كان معه وهو (العنب، والتين، والعصير) وأن الإرادة الإلهية حفظته من أن يصاب بالتلف أو التغيير.

---

(١) سورة البقرة ٢٥٩.

ومـن لطف الله به أنه أراه عمليـة الإحياء بأم عينيه حيث أراه كيف تعود الحياة إلـى حماره فجعل ينظر إلى العظام البالية المتفرقة تجتمع إليه، وإلى اللحم الذي قد أكلته السباع الذي يأتلف إلى العظام من هنا وهناك، وقام حماره.

الدروس المستفادة من هذه القصة

اليقين أعلى مراتب العلم.

ورد في العديد من الروايات أن الإيمان على درجات وان على الإنسان أن يستحث الخطـى في طلب أعلى درجات الإيمان. والمطلوب مـن العلم هو أن يصل الإنسان إلى درجة اليقين.

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال لأبي بصير: «يا أبا محمد! الإسلام درجـة، قال: قلت: نعم، قـال: والإيمان على الإسلام درجة، قـال: قلت: نعم، قال: والتقـوى على الإيمان درجة، قال: قلت: نعم، قال: واليقين على التقوى درجة، قال: قلـت: نعـم، قال: فما أوتي الناس أقـل من اليقين، وإنما تمسكتـم بأدنى الإسلام، فإياكم أن ينفلت من أيديكم»[١].

إذاً هنـاك فـرق بين الإيمان وبيـن اليقين وهذا الفرق يشبـه الفرق بين قولك: سمعـت وقولـك: رأيـت. وقد ورد فـي رواية عن رسـول الله صلى الله عليه وآله بيان هـذا الفارق بينهما مستشهداً بقصة موسى عليه السلام: «ليس الخبر كالمعاينة، إن الله تعالى أخبر موسـى بما صنع قومه في العجل فلم يلق الألواح، فلما عاين ما صنعوا ألقى الألواح فانكسرت»[٢].

علامات أهل اليقين

أما كيف يصل الإنسان إلى أن يصبح من أهل اليقين، هذا ما تدل عليه الروايات حيث وردت ببيان بعض العلامات التي يحملها أهل اليقين، وهذه العلامات تنعكس

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٢، ص٥٢.

(٢) الريشهري، ميزان الحكمة، ج ٤، ص٣٧١٥.

علـى حياتهـم ويوميات هذه الحياة، فقد ورد في الروايـة عن رسول الله ﷺ: «أما علامة الموقن فستة:...»[1]، هذه العلامات التي سنوردها ضمن العناوين التالية:

١. أيقن بالله حقا فآمن به

وهذا اليقين بالله عز وجل يتمثل بأن يرى الإنسان الله، فإذا رأى الله لم يعصه، وذلـك كما لو كنت أمام من يكون مسؤولا عنك وله الولاية عليك فإنك لن تقدم على مخالفتـه، أو أن يعلـم بأن الله يـراه فلا يقدم على مخالفته أيضـا، وهذا ما نطقت بـه الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «خف الله كأنك تـراه، فإن كنت لا تراه فإنه يراك، فإن كنت ترى أنه لا يراك فقد كفرت، وإن كنت تعلم أنه يراك ثم استترت عن المخلوقين بالمعاصي وبرزت له بها فقد جعلته في حد أهون الناظرين إليك»[2].

٢. أيقن بأن الموت حق فحذره

يصـف أمير المؤمنين عليه السلام الموت بأفضل وصـف يقول: «ما خلق الله يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت»[3].

فالنـاس كافة تتيقـن بالموت، وتعلم انها سوف تمـوت، ولكنها تنسى ذلك، وقد ورد عنهم عليهم السلام: «كفى بالموت واعظا»، وأهل اليقين هم أولى بالاتعاظ به.

٣. وأيقن بأن البعث حق فخاف الفضيحة

إنه الخوف من اليوم الذي تكون فيه الفضيحة على رؤوس الإشهاد، وقد ورد في الدعـاء عن الإمـام السجاد: «وارحم... إذا نشرت للحسـاب بين يديك ذل موقفي واغفر لي ما خفي على الآدميين من عملي وأدم لي ما به سترتني».

٤. وأيقن بأن الجنة حق فاشتاق إليها

والجنة على أنواع فمن الناس من يرغب بما يسمّى جنة الأعمال، وهي صور أداء العبـادات، وهي نصيب من كان يعمل للحور والقصـور، ومن الناس من يرغب بما

---

(١) الريشهري، ميزان الحكمة، ج ٤، ص٣٧١٧.

(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٦٨.

(٣) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ١٩٤.

يسمّى جنة الصفات، وهي نصيب من كان يعمل لأجل تهذيب نفسه وترويض روحه ومن الناس من يرغب بما يسمّى جنة الذات حيث يكون المطلوب هو العلم بالله والمعارف الإلهية، ولذا نقرأ في دعاء كميل: «هبني يا إلهي وسيدي ومولاي وربي صبرت على عذابك فكيف أصبر على فراقك».

٥. وأيقن بأن النار حق فظهر سعيه للنجاة منها

هي صفة المتقين التي وردت في نهج البلاغة في خطبة المتقين قال عليه السلام: وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون. قلوبهم محزونة... وإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها في أصول آذانهم فهم حانون على أوساطهم، مفترشون لجباههم، وأكفهم وركبهم وأطراف أقدامهم، يطلبون إلى الله تعالى في فكاك رقابهم.

٦. وأيقن بأن الحساب حق فحاسب نفسه

من مقتضيات الطبيعة الإنسانية الغفلة عن كثير من الأمور، ولذا من يعمل بالتجارة إلى تدوين كل ما له وما عليه، ليؤدي ما عليه ويطالب بما له، وهذا ما يسمى اليوم بعلم المحاسبة، والمؤمن هو الذي يتعامل بهذا النحو في أمور دينه فيؤدي ما عليه ويطالب بما له، ولذا ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «حق على كل مسلم يعرفنا أن يعرض عمله في كل يوم وليلة على نفسه، فيكون محاسب نفسه، فإن رأى حسنة استزاد منها، وإن رأى سيئة استغفر منها لئلا يخزى يوم القيامة»[1].

العلم المطلوب من الجميع

يقسم العلماء العلوم إلى قسمين:

العلوم الدنيوية، والتي يكون الهدف منها الوصول إلى الأغراض الدنيوية،

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ٢٧٩.

وتأميـن حاجات الإنسان الحياتيـة، وهذه يتعلمها الإنسان بمقـدار تأمين حاجاته التي تختلف من شخص إلى آخر بحسب التوجه وفرص العمل.

والعلوم الأخروية والتي يكون الهدف منها الوصول إلى المراتب الأخروية، حيث ينبغـي علـى الجميع تحصيلها. ويـرى علماء الأخلاق أن الروايـات التي حثت على طلب العلم أرادت به علم الآخرة.

يقـول الإمـام الخمينـي قدس سره: «إن جميع العلـوم الأخروية لا تخـرج عن إطار الحالات الثلاث: إما من قبيل العلم بالله والمعارف الإلهية، أو من قبيل علم تهذيب النفس والسلوك إلى الله، أو من قبيل علم الآداب وسنن العبودية».

وهذا العلم الذي طلبه العزير في دعائه هو علم الآخرة، لأنه طلب الإيمان بأمر يرتبط بالله عز وجل ولغرض الآخرة لا الدنيا.



خلاصة الدرس

١. إن على الإنسان أن يسعى دائماً لتحصيل اليقين، وأن لا يكتفي بأدنى درجات الإيمان، بل يواظب على تحصيل المعرفة.

٢. علامـات أهـل اليقين بحسب ما ورد في الروايـات: الإيمان بالله، الحذر من المـوت، الإيمان بالبعث وخـوف الفضيحة، الإيمان بالجنة والشـوق إليها والإيمان بالنار والخوف منها، ومحاسبة النفس.

٣. العلـم المطلوب من الجميـع هو ما يسمّى بعلم الآخرة والـذي يطلب فيه نيل المراتب الأخروية.




أسئلة حول الدرس

١ - ما الفرق بين الإيمان واليقين ؟

٢ - أذكر ثلاثاً من علامات الموقنين.

٣ - ما الفرق بين العلوم الدنيوية والأخروية؟




للمطالعة

يقول الإمام الخميني قدس سره:

أيها العزيز، إن العلاج كل العلاج فيما إذا أراد الإنسان أن يكون علمه إلهيا فعليه عندما يدرس أي علم شاء أن يبادر إلى مجاهدة النفس، ويسعى بواسطة الرياضة الروحانية، في سبيل تخليص نيته. فإن المنقذ الأساسي، ومصدر الفيض، تخليص النية، والنية الخالصة «من أخلص لله أربعين صباحا جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه» فهذه فوائد وآثار الإخلاص في أربعين يوما. فأنت عندما بذلت الجهد أربعين عاما في سبيل تجميع المصطلحات والمفاهيم العلمية، واعتبرت نفسك علّامة من جنود الله، ولكن لم تجد أثرا للحكمة في قلبك ولا طعما لها في لسانك، فاعلم بأن دراستك وتعبك لم يقترنا بالإخلاص بل إنما اجتهدت للشيطان والرغبات النفسية... وعلى أي حال أيها العزيز أنت محتاج في جميع العوالم: عالم البرزخ وعالم القبر وعالم القيامة ودرجاتها إلى المعارف الإلهية الحقّة والعلوم الحقيقية والخلق الحسن والأعمال الصالحة.

(الأربعون حديثا) ص٣٥٩ الحديث الرابع والعشرون.





البيان في تفسير القرآن

البيان في تفسير القرآن للإمام السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي قدس سره.

يقول قدس سره في مقدمة الكتاب:

رأيت صغارة الانسان في تفسيره وتفكيره أمام عظمة الله في قرآنه. رأيت نقص المخلوق في تناهيه وخضوعه أمام كمال الخالق في وجوبه وكبريائه. رأيت القرآن يترفع ويرتفع، ورأيت هذه الكتب تصغر وتتصاغر. رأيت الانسان يجهد نفسه ليكتشف ناحية خاصة أو ناحيتين، فيحرر ما اكتشفه في كتاب، ثم يسمي ذلك الكتاب تفسيراً يجلو غوامض القرآن، ويكشف أسراره، وكيف يصح في العقول أن يحيط الناقص بالكامل. على أن هؤلاء العلماء مشكورون في سعيهم، مبرورون في جهادهم. فإن كتاب الله ألقى على نفوسهم شعاعاً من نوره، ووضحاً من هداه، وليس من الإنصاف أن نكلف أحداً - وإن بلغ ما بلغ من العلم والتبحر - أن يحيط بمعاني كتاب الله الأعظم..

وسيجد القارئ أيضاً أني كثيراً ما أستعين بالآية على فهم أختها، واسترشد القرآن إلى إدراك معاني القرآن، ثم أجعل الأثر المروي مرشداً إلى هذه الاستفادة.

وهذا التفسير هو مجلد واحد، ابتدأه بمقدمات في علوم القرآن الكريم، ثم شرع في تفسير سورة الفاتحة.

الفهرس